



من فكر السجون وأديه
الإصدار الثالث عشر

من وحي الإضراب تجربتي

الأيام الصعاب في محنة الإضراب



تأثر عزيز حلاحة
سجن النقب

من وحي الإضراب تجربتي

(الأيام الصعبة في محنة الإضراب)



الكتاب: سلسلة فكر وأدب السجون (13)

من وحي الإضراب، تجريتي
الأيام الصعبة في محنة الإضراب

المؤلف: الأسير المجاهد/ شاعر عزيز حلاحلة

الناشر: مؤسسة مهجة القدس
غزة - فلسطين

الطبعة: الأولى

سنة النشر: ذو القعدة 1441 هـ
يونيو - حزيران 2020 م

رقم الإيداع: 1390 / 2020

الآراء الواردة في الكتاب لا تُعبر بالضرورة
عن وجهة نظر مؤسسة مهجة القدس

حقوق الطبع والنشر محفوظة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِنَّمَا يُوفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾

صدق الله العظيم

[الزمر: 10]



إهداء

- إلى كل الذين ساروا وسبحوا عكس التيار.
- إلى الشهداء الذين أحيوا الأمة بدمهم الطاهر.
- إلى روح الشهيد المفكر المؤسس الدكتور فتحى الشقاقي.
- إلى روح الاستشهادي علي حلاحلة رفيق الدرب، وكل الشهداء.
- إلى والدي الغالي ووالدي الغالية.
- إلى زوجتي الصابرة.
- إلى طفليّ لماز وخطاب.
- إلى إخواني في قلاع الأسر.
- إلى شهداء الحركة الوطنية الأسيرة.



شكر و تقدير

”لَا يَشْكُرُ اللَّهُ مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ“

• للإخوة الذين ساعدوني في إخراج هذه الصفحات
من الأسر، خاصة الأسير أبو شريف .

• الإخوة في مؤسسة مهجة القدس .

• زوجتي التي شجعتني .

• والدي العزيز .

• أخي شاهر حلاحلة الذي حافظ عليها من 2013م
حتى 2018م وهو أسير، رغم حملات التفتيش خلال
تلك السنوات .

• ولنا لقاء معكم بإصدار آخر، إن شاء الله .





تقديم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين،
إمام الأنبياء، وسيد الأولين والآخرين، سيدنا محمد ﷺ، وعلى آله وصحبه
أجمعين وبعد.

لقد تشرفت بطلب الأخ المناضل الأسير/ نائر حلاحلة أن أكتب له
مقدمة هذه التجربة الإنسانية والقضية المليئة بالكثير من الصبر والدروس
والمعاني الجميلة والتحديات، وأنا أقرأ سطور هذه التجربة والدراسة
شعرت أنه يكتب بدمه ولحمه وعرقه وآلامه وآهاته وجوعه المقدس،
ويسطر تجربته المملوءة بالمشاعر بصرخاته وأنيته وكأنه يهتف ويصرخ من
أعماقه، من أعماق الروح الوثابة والقلب الصادق بالانتماء لرسالة عظيمة،
ومن شرايين الجسد المتعب المنهك المحاصر بالموت والجوع، والوجع،
المتسلح بالإيمان والإرادة والتحدي والثبات، وهو يتحدث عن تجربة
الإضراب المفتوح عن الطعام معركة الإرادة (معركة الأمعاء الخاوية)،
هذه المعركة والتجربة الإنسانية الفريدة التي تحمل في طياتها كل معاني
العطاء والتضحية والإخلاص، والتي تتغير فيها وسائل وأدوات القتال
والنضال والكفاح والمقاومة، فتعيد هذه التجربة من يخوضها لفطرته،
تعيده لتراب الأرض ورائحتها، للسماء والهواء. لقد أطلق علماء السياسة
على هذه التجارب الإنسانية وعلى معركة الإضراب المفتوح عن الطعام



(المقاومة السلبية)، قاصدين بذلك عدم استخدام القوة المادية أو العنف، إن الإنسان المضرب عن الطعام يقدم من لحمه ودمه وحياته لنيل حريته وتحقيق مراده وهدفه الواضح البسيط (الحرية والكرامة)، ويتنظر المصير المجهول إما الحياة أو الشهادة المقدسة.

الإضراب المفتوح عن الطعام هي تلك المعركة غير المتكافئة وغير المتوازنة، أنت بإرادتك وعزيمتك وصلابتك وإيمانك تواجه كل أساليب القمع والإرهاب والتخويف والتضييق، أنت بإضرابك تصفع وجوههم القبيحة، أنت بأهدافك تواجه هذا الكيان بمؤسساته وجيشه وأدواته ومصلحة سجنونه ومخابراته ومكره وحقده وتغوله، تواجه دهاءهم وخبثهم، وإنها المعركة التي لا تقل خطورة وشراسة عن مقاتل في ميدان قتاله، إنها الأكثر والأعمق إنسانياً وأخلاقياً، إنها المعركة الأكثر طهراً وقرباً للروح والقلب والأبعد عن المادة والشهوات، إنها الأجدر بأن تكون مادةً ومساقاً في جامعاتنا ومعاهدنا ومدارسنا لكي يدرسها طلابنا نظرياً وعلمياً ويتربى هذا الجيل الواعد في ظلها.

10

إن نائر حلاحلة وهو يخوض هذه المعركة ويتحدث عنها بصدق يجسد اسمه وسماً ومعنى الثائر_ثائر، فقد كان هو ومن سبقه من إخوانه في معركة اللحم مقابل السكين الصهيوني، من المجاهدة المحررة عطف عليان والمحررة منى قعدان ومفجر معركة الإرادة الشيخ الثائر خضر عدنان والمحررة هناء الشلبي، إنها حالة جهادية نضالية ثورية أعادت لنا طهر البدايات، حيث كانت التربية الجهادية تتمركز حول شعارنا الخالد (تقديم الواجب على الإمكان)، إنها تجربة نوعية فريدة واستثنائية في زمن



الاستثناءات والانكسارات، تلك التجربة والمعركة التي خاضها الأخ نائر حلاحلة بصحبة أخيه ورفيق درب النضال والمقاومة الأخ بلال ذياب، لا يمكن أن يقدر ذلك إلا من عاش الجرح والجوع وخاض الإضراب بلحظاته الطويلة، أن تكون أسيرًا عاشقًا للحرية ومحكومًا بالسنوات الطوال معنى، ذلك أنك لا بد أن تمر عبر هذه التجربة، ولا بد أن تجرب نفسك وتتعرف عليها وتكسر المستحيل، وقتها فقط يعرف الإنسان قدره وقيمه الإنسانية ويدرك أنه يستطيع أن يعمل وأن يقدم وأن يعطي لو امتلك الإرادة، وقتها أيضًا يدرك الإنسان أن لديه طاقات روحية وجسدية لم يكن يتصورها كأنها من المستحيلات، فيأتي الإضراب المفتوح عن الطعام يكسرها ويتجاوزها ويقلب المعادلة، ففي الإضراب السلاح الأمضى وهو الإرادة، ولا يستطيع أحد أن يحفزهما مهما أوتي من قوة وغطرسة.

لقد قرأت هذه التجربة والدراسة المتواضعة سطرًا سطرًا، وسرت مع نائر منذ البداية عندما أقسم يمين العهد والاستمرار مع صديقه ورفيقه الوفي الصلب العنيد بلال ذياب، وتنقلت معهما من سجن لآخر، ومن بوسطة لأخرى، ومن زنزانة حقيرة لأخرى، ومن شخص لآخر كأن قدر الفلسطيني أينما حل التنقل والعذاب، وقفت مع نائر الإنسان مقيد اليدين والرجلين في قاعات محاكم عارهم وقهرهم، المحاكم السورية الهزلية، فرحت مع نائر عندما خرج مرفوع الرأس منتصرًا ويلوح لطفلته الجميلة لمار، إن نائر حلاحلة بهذه الملحمة شكل نموذجًا للمناضلين الأوفياء لوطنهم، فالملاحم لا تقاس بعدد السنين والأيام، وإنما بعمق التجربة ومدى قيمة التضحية التي تتخللها، لقد كان الآباء والأجداد قديمًا يحدثون



ويقصون الأقايص وتجارهم لأحفادهم وأبنائهم، اليوم في هذه التجربة الإنسانية المؤثرة ثائر يقص على آباءه وأجداده وجيله وطفليه لمار وخطاب ولزوجته الصابرة ولجيلة الأكبر قصته، وتجربته وملحمته ولحظات كاد أن يفقد فيها حياته، حيث كان على بوابة الموت والشهادة وما بين الشهادة والشهادة، لكي تظل نبراساً ونوراً يضيء الطريق أمام الجيل الحالم بالحرية والانتصار، وكلما تعثرت الخطا واضطربت الأحوال والموازن؛ فقد شكلت هذه التجربة مع أخواتها من التجارب اللاحقة والسابقة مدرسةً وخطاً جديداً، بل بديلاً لحالة الترهل والتمزق التي أصابت واقع الحركة الوطنية الأسيرة في تلك الفترة، فكانت بمثابة نهضة وتحريك لكوا من الطاقة، فإلى الأمام في إغناء أدب السجون بمثل هذه التجارب الحية والواقعية والتعلم منها والوقوف على تفاصيلها، فهي تستحق أن تُقرأ وتدرس وينى ويراكم على هذه التجارب، وخاصة أن الصراع مع الكيان الغاصب والصهيوني ما زال محتدماً على هذا الوطن الجميل فلسطين المحتلة.

أخوكم الأسير / جمعة التايه

سجن إيشل

سبتمبر (أيلول) 2013م



مقدمة

الحمد لله على نعمة الإسلام الأصيل وكفى بها من نعمة وفضل،
والصلاة والسلام على سيد الخلق محمد ﷺ وآل بيته الأطهار وصحبه
وبعد.

تعتبر الحركة الوطنية الأسيرة منذ ولادتها وإنشاء الكيان الصهيوني
سجونه ومعتقلاته الظالمة على امتداد ساحات الوطن المحتل هي امتدادٌ
حيٌّ وطبيعيٌّ وأصيلٌ للحركة الوطنية الفلسطينية بكل أطيافها وأدواتها
واتجاهاتها وتياراتها الفكرية الوطنية والإسلامية، وقد قدمت هذه الحركة
الكثير من التضحيات والنضالات والبطولات والنماذج التي لازالت
حاضرة في ذاكرة شعبنا الحية، وقدمت هذه الحركة الشهيد تلو الشهيد،
تجاوز عددهم أكثر من 210 شهداء، وكل ذلك من أجل حياة كريمة
مصانة، ورغم القيد والأسر والمعاناة فقد كانت الحركة الأسيرة وما زالت
في نضال دائم ومواجهة مقدامة مع سجانها حتى الحرية والتحرر، وإن
تراجع نضالها أحياناً مع إدارة سجون الاحتلال الصهيوني.

لقد أثبتت هذه الحركة على الدوام حيويتها وقدرتها على تخطي
الصعاب ومواجهة سياسة القمع التي تنتهجها إدارة مصلحة السجون
ضدها، وكان آخرها استشهاد ميسرة أبو حمدة نتيجة الإهمال الطبي المتعمد
والمقصود، ومن قبله عرفات جرادات الذي قُتل أثناء التحقيق معه بعد ستة



أيام من اعتقاله، وكل الشهداء الذين قضوا على مذبح الحرية، علي الجعفري، أسعد الشوا، عبد الصمد حريزات ومحمد الأشقر، وكل القائمة المناضلة من هؤلاء الذين أضاءوا لنا عتمة الزنازين بدمهم المقدس الطاهر.

في هذه الدراسة والتجربة النضالية البسيطة والمتواضعة التي خضتها بكل اعتزاز وثقة وبكل لحظاتها الصعبة وتفاصيلها المرّة والمحنة، وكل مشاعرها الإنسانية، أردت من خلالها تسليط الضوء على الواقع وسياسة إدارة مصلحة السجون المتبعة ضد أسرارنا ومعتقليننا، وكذلك لمواجهة الاعتقال الإداري التعسفي الظالم، وكيف يعتقل الأسير ويمكن في السجن لعدة سنوات دون تهمة أو معرفة سبب لاعتقاله، وكذلك لإظهار إنسانية ومظلومية ليس الأسير فحسب؛ إنما شعبٌ بأكمله يروح تحت نير وجبروت وظلم الاحتلال والمحتلين القادمين من أصقاع الدنيا ليحتلوا وطننا وينكّلوا بأبنائه، ومن أجل أن يعرف هذا العالم المتحضر على أنه لم يتبق في الكون وتحت الشمس سوى هذا الشعب المظلوم، يئن تحت قهر الكيان الغاصب، ولم أكن أبتغي من وراء هذه التجربة القاسية والدراسة وكتابتها والتي كدت أن أفقد فيها حياقي لا طلباً لشهرة ولا سعياً لإضافة كتيب صغير لأدب ومكتبة السجون، ولا أريد مكانةً ووساماً، إنما أردت أن أكتب للجيل القادم جيل المستقبل والحرية والانتصار والنهضة، أردت أن أقول إن المقاومة وخيار المواجهة والتصدي هما الخيار الأصوب والأفضل وإن كان صعباً، خيار لنيل الشعوب الحرة حريتها المسلوبة وكرامتها المنهوبة، وأعلم جيداً أن الكثير قد سبقني في تقديم النماذج في صفوف الحركة الوطنية الأسيرة التي ضحت بدمها متحدية السجن والسجان، وهنا أتذكر الشهيد البطل أسعد الشوا صديق ورفيق درب والدي الأسير



المحرر عزيز حلاحلة، أسعد الشوا الذي وقف أمام مدير سجن أنصار (3) بصحراء النقب المجرم «تسيمح» الذي أطلق نار حقه على جسد الشهيد أسعد الشوا وعلى والدي، واستشهد الشوا رافعاً رأسه في صحراء النقب، وأصيب والدي برصاصة في ظهره ومعه العشرات من المناضلين.

أردت من هذه الدراسة أن أعبر عن حق شعبنا في الحرية والعيش بكل كرامة وإنسانية وعدالة ومساواة، وأن أزرع ثقافة المقاومة ولغة الكفاح والنضال والجهاد بكل الأشكال والأنواع بديلاً عن ثقافة الانهزام والخنوع والانكسار والتراجع.

إن المقاومة هي التي تحرر الأوطان من الاستعمار والظلم، فعندما كان البعض غارقاً في التيه والضياع والصراع على الوهم خرجت نماذج نضالية وطنية من داخل قلاع الأسر لتضيء سماءها، لتأتي القناديل الشيخ خضر عدنان، المجاهدة هناء الشلبي، الصלב النبراس بلال ذياب، جعفر عز الدين، حسن الصفدي، عمر أبو شلال، محمود السرسك، أيمن الشراونة، سامر العيساوي، طارق قعدان، يونس الحروب، عبد الله البرغوثي، أيمن طبيش، أكرم الفسيسي، وفؤاد عاصي وغيرهم، ولا نعرف من سيأتي لاحقاً لمواجهة سياسات العدو الصهيوني.

الأسير/ نائر عزيز حلاحلة (أبو خطاب)

سجن النقب الصحراوي

2018 / 04 / 07 م





الفصل الأول

معركة الأمعاء الخاوية، نماذج بطولية

المجاهدة المحررة عطف عليان تقرع جدران الخزان

إنها (أم حمدي) المناضلة المجاهدة كما يعرفها المناضلون والشهداء حمدي سلطان ورفاقه والشهيد الدكتور فتحي الشقاقي، حتى العدو الصهيوني يعرفها جيداً ويعرف هذا الاسم الحركي الذي قاد سيارته المفخخة نحو ما يسمى كنيسة العدو أو مباني (الأمّة).

كانت عطف عليان من الأوائل الذين تقدموا نحو مواجهة حقيقية ضد سياسة الاعتقال الإداري، فأعلنت الإضراب المفتوح عن الطعام رفضاً وتحدياً للسجان ومخابراته، وقد نجحت وصبرت ودفعت سلطات الاحتلال للرضوخ للمطالبة بالإفراج عنها، علماً بأنها أمضت في السابق أكثر من عشرة أعوام، وهي قائدة الحركة النسائية المجاهدة في فلسطين، وفي عام 1998م خاضت إضراباً عن الطعام لمواجهة الاعتقال الإداري، وهي زوجة الكاتب الروائي والمحرر وليد الهودلي.

إن معركة أم حمدي -عطف- هي فاتحة نحو كسر ومواجهة الاعتقال الإداري الذي يؤرق الآلاف من المعتقلين الذين لايزالون يدفعون ثمناً من أعمارهم وحياتهم داخل سجون الاحتلال، لقد كانت صرخات عطف



عليان تنادي فينا والعالم المتحضر المدعي للإنسانية أن يهبوا ويتصروا لرفع الظلم والقهر الواقع علينا وعلى شعبنا الذي يخوض معركة غير متكافئة مع عدو لا يرحم ولا يعرف معاني الإنسانية، ويأتي بعد الأخت المجاهدة عطا ف عليان مجاهدة من نفس المدرسة، مدرسة «الكف يواجه المخرز» المحررة نورا الهسلمون والمحررة منى قعدان أخت الأبطال والأسرى والمحررين وأصحاب التجارب والنضالات، وخاصة الأخ الشيخ المجاهد خضر عدنان، والشيخ طارق قعدان الذي خاض أكثر من تجربة للإضراب عن الطعام رفضاً للاعتقال الإداري.

الشيخ خضر عدنان يفجر ثورة السجون من جديد

تم اعتقاله بطريقة مهينة ونقل للتحقيق في شمال فلسطين المحتلة، ومن هناك أعلن إضراباً عن الكلام والطعام رفضاً للإهانة والتعدي على كرامته الشخصية وخصوصيته الدينية، ورفضاً لاعتقاله الإداري التعسفي، فالشيخ خضر عدنان هو أسير سابق وقائد طلابي في جامعة بيرزيت، ثم ناطق إعلامي، ثم خباز بسيط متواضع عنيذ، حيث أبهر العالم بقوة إرادته وإيمانه وعنفوانه وجرأته وشجاعته، فيبدأ في معركته والعالم يتابع لحظة بلحظة، وينفجر الشارع انتصاراً له ولمظلوميته، وينتشر خبر إضرابه في العالم كله، وتخرج المظاهرات من الأحرار والمناضلين فقد تحقق ما أراد وأصبح نموذجاً يُحتذى به، فينتصر بعد 66 يوماً من الإضراب الأسطوري ويتم الإفراج عنه يوم السابع عشر من أبريل (نيسان) من عام 2012م في يوم الأسير الفلسطيني، ليقود شعلة الحرية في بلدة عرابة بمحافظة جنين بحفل شاهده العالم.



كرامتنا أغلى من الطعام

لم يكن شعارًا أو هتافًا عابرًا بل أصبح يصدح به النشطاء والمتضامنون عبر العالم مع الأسرى ومع صاحب المعركة والشعار للشيخ خضر عدنان، ليبقى للأجيال التي جاءت تحمل هذا النهج، فأصبحت البيانات والمسيرات ونشرات الأخبار والملصقات يكتب عليها الشعار، فكان من اللحظة الأولى التي قالها الشيخ خضر عدنان أمام ضباط مخابرات الاحتلال الذين تعمدوا الإساءة إليه وإهانته قائلاً لهم: «من هذه اللحظة لن أكل إلا في بيتي ومن يد أمي وزوجتي»، هي الكرامة والشموخ الذي تسلم به، ولا يمكن أن يساوم على مبدئه وإصراره، وهذا ما دفع الفنان الفلسطيني حافظ عمر أن يرسم صورة للشيخ خضر عدنان عليها الشعار وعلى فمه قفل في تعبير عن رفضه للطعام والكلام معهم.

لقد أثبت الشيخ خضر عدنان إنسانية معركته وشعاره ومعنى أن تكون إنسانًا، وأن الثوار يتمتعون بالقيم الإنسانية وأخلاقيات المعركة، فلم يخض المعركة لإنقاذ نفسه إنما لينقذ الآخرين، هذه السباحة الحقيقية ضد التيار، ومن بعده جاءت الأسيرة المجاهدة هناء الشلبي رافعة نفس الشعار «كرامتي أغلى من طعامكم»، وانتصر خضر وانتصرت هناء رغم كل ظروف الوهن والخذلان.

لم تكن تجربة الشيخ خضر عدنان تجربة عادية كما يعتقد البعض، بل كانت تجربة فريدة وكان لها تأثيرها المباشر على الحركة الأسيرة بشكل عام، وأبناء الجهاد الإسلامي بشكل خاص حيث شكلت درسًا عمليًا



يُحتذى لمواجهة السجنان، ورفض أنظمتها الإدارية في التعامل مع السجن الفلسطينيين، وبالرغم من التعامل السلبي من بعض أفراد الحركة الأسيرة - عملياً وعاطفياً - إلا أن تجربته كانت زاداً لي ولإخواني في تجربتي الخاصة التي خبطتها بعد ذلك، مؤكداً على قدرة سلاح الإضراب في مواجهة كل أساليب السجنان، وفرض معادلة جديدة في الانتصار على السجنان وإدارته الظالمة.

المجاهدة هناء الشلبي تدخل المعركة

ينتهي إضراب الشيخ خضر عدنان وتدخل المعركة فتاة فلسطينية مجاهدة إنها هناء الشلبي، وهي ابنة الـ 29 عاماً من بلدة برقين قضاء جنين بلدة الشهيد القائد وليد العبيدي، قررت المواجهة لسياسة الظلم والاعتقال الإداري، وهي أسيرة محررة أطلقت سراحها ضمن صفقة وفاء الأحرار في 8 أكتوبر (تشرين أول) 2011م، وتم إعادة اعتقالها إدارياً بعد تحررها بعدة أشهر في هذه الصفقة المشرفة التي أرغمت العدو الصهيوني للرضوخ لشروط المقاومة الباسلة في قطاع غزة.

تجربة فريدة تقودها فتاة فلسطينية مجاهدة، تعكس روح التحدي للسجان، وتؤكد على قدرة الفلسطيني شاباً أو شابة بفرض معادلته الجهادية حتى في دائرة القيد.

ورغم الحالة السياسية المؤسفة داخل المعتقل، وعدم التوافق الكلي بين مكونات الحركة السياسية الأسيرة، وما نسمعه أحياناً من صوت نشاز لا يعترف أو يقر بأهمية هذه الخطوة، إلا أن هناء ضربت المثل الرائع في التحدي والتفوق على حالة الانهزام التي أصابت البعض، واستمرت في



إضرابها بكل عنفوان مؤكدة على صوابية القرار، وكان الدعم لهذه الخطوة مني أنا والأخ بلال ونحن نلتقيها في عيادة مشفى سجن الرملة.

وانتهت قصة هناء بالإبعاد القهري والقسري إلى غزة؛ لتعيش حياتها بين شعبها وإخوانها، وهي تنتظر بلهفة عودة ثانية إلى بيتها ومرتع صباها الأول في بلدتها برقين بمحافظة جنين.

لم تكن هذه التجارب الرائعة تمر من أماننا مروراً عادياً، بل جاءت لتؤكد قناعتنا الكاملة أن الأسير الفلسطيني يملك من القوة والعنفوان ما يتفوق به على أساليب السجان ومحاولات العدو لكسر إرادة الفلسطيني أمام هذه التجارب، كان لابد من خطوة أخرى تؤكد على روح التحدي والمواجهة.





الفصل الثاني

تجربتي في الإضراب، نموذج متجدد

ثائر وبلال في وسط المعركة بعد انتصار خضر عدنان

بعد انتصار الشيخ خضر عدنان ذاك الخباز المتواضع بعد 66 يومًا من الإضراب، كنت أنا والأسير بلال ذياب نعيش هذه اللحظات أولاً بأول، وقد كانت لحظات تشعرونا بالعزة والكرامة، ومن هنا بدأت الفكرة تدور في عقولنا لخوض غمار هذه المعركة - معركة الإضراب المفتوح عن الطعام - وقد مرَّ على إضراب الأسيرة هناء الشلبي 20 يومًا.

لقد أعطانا انتصار الشيخ خضر عدنان الحافز والتشجيع للدخول في المعركة، وكذلك دخول الأسيرة هناء شلبي للخلاص من هذا الكابوس الذي لا يزال يطاردنا ويهدد استقرارنا ويسرق من أعمارنا سنوات دون وجه حق، وكلها ظلم وتعسف واضطهاد واستعباد، وقد بدأ الحراك الشعبي يتصاعد في الفترة الأخيرة من إضراب الشيخ خضر عدنان، وكذلك مع بداية إضراب الأسيرة هناء الشلبي.

هذه النماذج كانت دافعًا قويًا لخوض هذه المعركة دون تردد أو

تراجع.



ليلة اتخاذ القرار

بعد انتصار الشيخ خضر عدنان في معركته البطولية ودخول الأسيرة هناء شلبي الأسبوع الثالث من إضرابها، حفزنا أنفسنا وتزودنا بكل أنواع الحليب والمشروبات والتمر حتى نقوى على دخول المعركة المقبلة التي سوف نخوضها وحتى يتم تنظيف أجسامنا من الفضلات، فالحليب والمشروبات تساعد في ذلك قبل الشروع في الإضراب، وقد بدأت مشاوراتنا واتصالاتنا مع كل الأطر والفصائل الوطنية والإسلامية بالأسر وخارجه، وكذلك مع الجهات العادلة في قضايا الأسرى ومع الإعلاميين والمسؤولين الحزبيين المؤثرين، وكذلك مع الأهل وبالتحديد الوالد والوالدة والإخوة وفيما بعد زوجتي التي علمت بالخطوة بعد عدة أيام لأسباب إنسانية وحتى لا أقع تحت تأثير عواطفها، فمن هنا تم اتخاذ القرار الذي لا رجعة فيه بالدخول في الإضراب مع الأخ الأسير بلال ذياب ولن أنتظر بعد ذلك لحظة واحدة، وقد قال لنا الأسير أيسر الأطرش عليكم حسم أمركم الليلة وعدم التردد وأن هذه المعركة ستكون صعبة، وعليكم قطع الطريق على المشككين بهذه الخطوة ومدى جدواها، وأن نتائجها غير محسوبة وغير معروفة وأنها ستفشل كما اعتقد البعض، ورغم تهديدات إدارة السجن أن هذه الخطوة قد تضر بالإنجازات التي تحققت سابقاً داخل السجن.



عهد مع الله، وقسم حتى النهاية

لم تكن ليلة الثامن والعشرين من فبراير (شباط) عام 2012م ليلة عادية بكل ما فيها، وكان الأمر صعباً والقرار أصعب، بل الأكثر صعوبة في حياتي هو قرار دخول هذه المعركة، معركة الذهاب إلى عالم الشهادة أو الحرية، معركة الإضراب المفتوح عن الطعام. معركة الأعماء الخاوية. في سجن النقب الصحراوي المعروف صهيونياً «كتسعوت»، أنصار 3، وفي قلعة (ج) المعروفة بالغرف وفي قسم (6) الذي أصبح اسمه اليوم (21) وفي غرفة (3) الطابق الأول في قلعة الشهداء كما يطلق عليه الأسرى، وقلعة الشهيد محمود طوالبه، وسجن النقب يتصف بأنه شديد الحرارة ويقع وسط صحراء قاحلة.

قررت مع رفيق الدرب والمعاناة العنيد بلال نبيل ذياب من بلدة كفر راعي بمحافظة جنين، أن نخوضها موحدين متوكلين على الله ومن ثم صلابة الإرادة، وبجهد ودعم المخلصين والأحرار من شعبنا والعالم ودعاء الأمهات، وبحضور الأسير أيسر الأطرش وإصراره بأن يكون وثيقة وعهداً وقسمًا يضمن استمرار المعركة، فلقد فكرت كثيراً وترددت أن أقسم على ذلك لما فيه من مسئولية وخوفاً من المجهول، فوضع الأسير أيسر الأطرش المصحف الشريف على الطاولة، فقال الأسير بلال وبأعلى صوته: «أقسم بالله العظيم لن أفك إضرابي حتى نيل حريتي وتحقيق مطالبتي أو الاستشهاد»، وقد شعرت برهبة ورعب وخوف وكدت أن أبكي أمام عظمة القسم، وقلت لهم أرجوكم فليكن



دون قسم، ورددت نفس القسم وأنا أبكي أمام أبناء الغرفة، وكان ذلك في 28 فبراير (شباط) 2012م.

إنه قسم الوفاء والانتماء لفلسطين للوطن والإسلام، ومواجهة هذا السيف المسلط على رقابنا والمسمى بالاعتقال الإداري، على مثل هذا يتعاهد الرجال، على التحدي والإصرار، والتصدي لسياسية السجان والاحتلال الذي يحاول كسر إرادة الإنسان الفلسطيني ولكن هيهات له ذلك!

المعركة تبدأ

لقد بدأت معركة الإضراب المفتوح عن الطعام بروح عالية وهمة وإصرار وشهادة وإقدام، فكانت أجواء المعركة حاضرة وبقوة في حواراتنا مع الأسرى واحداً واحداً، بعد أن انتصر الشيخ خضر عدنان ودخول الأسيرة هناء الشلبي، والتحضير والدعم من قبل الأهل وخاصة من الوالد الأسير المحرر وصاحب التجربة والمعاناة ويعرف معنى القيد والأسر وقد شجعني ورحب بالفكرة، ولكن شدد على الصمود والإصرار، وكذلك إخواني الذين هم جميعاً أسرى محررون دعموا فكرتين ولكنهم متخوفون علي وعلى صحتي التي كانت أصلاً تعاني من بعض المشاكل والأوجاع نتيجة سياسة الإهمال الطبي في السجون الصهيونية.



الأيام الأولى في معركة الإضراب، ومحاولات الإحباط

الأيام الأولى في معركة البحث عن الحياة أي من 28 فبراير (شباط) 2012م إلى 2 مارس (آذار) 2012م كنت متواجداً في غرفة (3) قسم (6) سابقاً أما حالياً ففي قلعة (ج) أيام قاسية وصعبة وترقب وهواجس، وبدأت سلسلة من مسلسل الضغط من التضييق للحد من خطواتنا المخططة من اللحظة الأولى لبدء المعركة، في محاولة بائسة ويائسة لإنهاء الخطوة وتأجيلها، فلأسف الضغوطات كانت مشتركة ومتزامنة ما بين ضباط إدارة السجن وكل من ممثلي بعض الفصائل أننا ذاهبون نحو المجهول، ويمكن أن نؤثر على واقع السجن وإنجازات الأسرى، علماً بأن الواقع كان يشهد على تراجع وتفكك، وأنا سوف نعطي إدارة السجن مبرراً للهجوم على كل الأسرى، وأن إدارة السجن هددت بالفعل باتخاذ إجراءات عقابية ضد الأسرى وضد تنظيم الجهاد الإسلامي الذي نلتزم عنده، والتهديد بنقل الهيئة التنظيمية إذا لم نوقف الإضراب.

ولم تقم إدارة السجن بأي خطوة ضد الأسرى، وحتى تنظيم الجهاد، كانت فقط مجرد تهديدات واهية، في هذه الأثناء كنا نتناول الحليب فقامت الفصائل بالضغط علينا لعدم تناوله وحتى لا يتم تدهور أوضاعنا ويتم نقلنا من القسم المعزول للزنازين، فعلاً بعد اليوم الثالث لم نكن نتناول إلا الماء والملح، وحتى الملح سحب من عندنا وهو مهم بكميات بسيطة؛ لأنه يحافظ على المعدة من التعفن، وقد قال لنا مسؤولو الفصائل حتى تثبتوا لإدارة السجن أنكم مضرّبون عن الطعام لا بد أن تتقدموا بكتاب



وطلب رسمي لإدارة السجن وآخر لمثلي الفصائل، فعلاً قمنا بذلك وأبلغنا الإدارة ومثلي الأسرى في السجن والفصائل بهذه الخطوة وأن الإدارة لا تعترف بالأسير المضرب ما دام متواجداً داخل الغرفة وبين الأسرى غير المضربين، هذا واقع السجن! مترهل، وكان الجميع يبحث عن وجود الهواتف الخلوية للتواصل وهي أصلاً مهربة، للأسف ارتبط البعض بها وكان مستعداً لقبول الأمر الواقع مقابل بقائها (أي الاتصالات) كما كنا ننادي جمع الفصائل بخطوات لتحسين ظروفنا الاعتقالية المعيشية، وكان الرد لا نريد أن نخسر الاتصالات، هذه حالة فردية متردية.

التنقل بين الأقسام في بداية المعركة، محاولة للإجهاض

في اليوم الرابع من الإضراب عن الطعام تم استخدام أسلوب التنقل فتم نقلي إلى قسم (7) سابقاً وحالياً (22) قلعة (ج) وبعدها بيوم تم نقلي في اليوم الخامس إلى قسم (8) سابقاً وحالياً قسم (23) فجاءت السجانة السوداء المعروفة بحقدتها على الأسرى (إيرز) وقالت لي: أنت منقول لقسم (8) إلى غرفة (10)، وقد رفضت الدخول للقسم، وبدأت الضغوط من ممثل القسم ومن الفصائل حتى أدخل وسوف يتم نقلك للمشفى، وللأسف لغة المصالح الشخصية الخاصة تغطي أحياناً.

وبعد جدال ونقاش حاد مع ضابط الاستخبارات المدعو (بن جامو) أن أدخل إلى القسم (8) وإلى غرفة (1)، علماً بأنني تركت الأخ بلال في قسم (6) سابقاً و(21) حالياً في غرفة (3) يتعرض لضغوط كبيرة، علماً بأن الغرفة التي أدخلوني إليها يسكن فيها أسرى من حركة فتح من منطقة رام الله المحتلة.



في اليوم السابع جاء اسمي لمحكمة تثبيت الاعتقال الإداري في معسكر عوفر الاحتلالي حيث توجد المحكمة السورية العسكرية، وبعد عودتي تم نقلي إلى القسم (9) الخاص بالأسرى الإداريين من حماس وهو قسم (24) حاليًا من قلعة الغرف (2)، وقد رفضت الدخول إلى القسم، وعدت إلى القسم (8)، قسم (23) حاليًا إلى الغرفة (1)، وقد كان وقت العشاء وكان الطبخة المشهورة الفلسطينية (المقلوبة) حيث كانوا في حرج احترامًا لي ولمعاناتي وجوعي فبدأوا يأكلون وأنا أحمل عبوة الماء الخاصة بي، رفيقة الدرب في هذا الإضراب الطويل والقاسي والقليل من الملح حتى يبقى حيًا هذا الجرح.

29 وفي أثناء وجودي في قسم (8) تحدثت مع القسم الخاص بأسرى حماس في قسم (9) ومع ممثلهم أن يتم القيام بخطوات جماعية من الإداريين لمواجهة الاعتقال الإداري، فقال لي هناك مشاورات حتى الآن لم يتم الانتهاء منها، وتم نقلي من قسم (9) إلى قسم (7) سابقًا حاليًا (22) إلى غرفة (1) وهي تابعة لأسرى الجهاد وفي القسم أسرى من حركة فتح.

بعد عملية التنقل بين الأقسام من أجل إرهابي وإجباري للخضوع والتراجع، جاءت البوسطة والمحكمة لتثبيت المعاناة التي ندوقها في هذه الرحلة المتعبة، حملت أغراضي وعبوة الماء معي وخرجت من القسم الساعة العاشرة صباحًا، بقيت قنينة الماء حتى الإفراج عني في 5 مايو (أيار) 2012م بعد الانتهاء من الإضراب وتحقيق الانتصار العظيم وحتى الإفراج النهائي ودخولي البيت.



رحلة المحكمة الأولى (التبثيت)

تحركت البوسطة من أمام سجن النقب في الصحراء القاحلة الواسعة، ومن سجن لآخر فقد توجهت قبلها نحو سجن ريمون من الطريق الموصل لمدينة أم الرشراش المحتلة، ومررنا بسجن بئر السبع، ومن ثم إلى سجن عسقلان، وشاهدنا فلسطين الحبيبة وجمالها وسهولها الجميلة التي يسيطر عليها الغرباء، ثم تحركت البوسطة السيئة السمعة التي تفوح بداخلها الرائحة القذرة، ووجود الأسلاك والتقسيات بداخلها تشعرك أنك في الزنازين، البوسطة من الخارج جميلة مرتبة ولكن داخلها عذاب، حتى وصلت إلى سجن الرملة، ذاك المكان الذي تقوم فيه إدارة السجون بوضع الأسرى الذين يتم نقلهم من السجون إلى سجون الأخرى، ومراكز التحقيق التابعة لإدارة السجون ولمحاكم الاحتلال الظالمة المنتشرة على حدود الوطن المحتل من محكمة سالم إلى عوفر إلى القدس إلى محكمة بئر السبع وغيرها، وبعد إجراءات التفتيش المذلة المهينة، يتم وضع الأسرى في ما يعرف بالأقفاس الحديدية التي لا تشبه إلا الأقفاس التي يتم فيها وضع الحيوانات المفترسة والكلاب المتوحشة؛ لأنهم فعلاً يتعاملون معنا كحيوانات مفترسة ومتوحشة وهي أقفاص محاطة بالبوابات الحديدية والأسلاك الشائكة وقذره جدًّا، وفي نفس القفص كان برفقتي الأخ والمعتقل الإداري أحمد نبهان صقر من مخيم عسكر بنابلس المحتلة، وهو من الأسرى الذين أمضوا 3 سنوات في الاعتقال الإداري، وكذلك الأسير الدكتور عيسى الجعبري من الخليل المحتلة، الذي يعاني من الأمراض وأمضى سنوات في الاعتقال الإداري، وآخرون لا أذكر أسماءهم، وبعد



ساعات من الانتظار في داخل هذه الأقفاص تم نقلنا إلى قسم «9» من سجن نيتسان الذي يتبع لإدارة سجن الرملة أو (مجموع سجون الرملة)، طبعاً الغرف وضعها سيء، المرحاض لا يعمل، الماء غير نظيف، فرشاة الأسرة قذرة وذات رائحة كريهة، وفي المساء موعد توزيع طعام العشاء جاء العامل الجنائي وأذكر اسمه (يوسي) فكان معه ورقة فسأل بالعربي الثقيل: كم عددكم شباب؟ فأجبنا 10 أسرى واحد منا مضرب عن الطعام، وهو الأسير تائر حلاحلة لا يريد أن يأخذ حصته من الطعام، فقام بالتسجيل أسير واحد مضرب عن الطعام اسمه تائر حلاحلة، حتى يقوم هذا المردوان بإبلاغ السجن الذي يحرس على بوابة السجن وبدوره يبلغ الضابط المسؤول عن الأسرى القادمين في البوسطة، وهو يقوم بإبلاغ السجن الذي جاء منه الأسير المضرب، ويتم التسجيل في الاستعلامات أن الأسير الإداري تائر حلاحلة القادم من سجن النقب وذهب للمحكمة لم يستسلم ورفض استلام طعامه ويقول إنه مضرب عن الطعام، في أثناء وجودي مع الأسرى في هذه الغرفة عرض بعضهم أن أقوم بالأكل وشرب المشروبات والحليب والعسل فرفضت ذلك، وقالوا: لا أحد يراك من الإدارة، فقلت لهم المسألة عندي مبدأ وضمير وقرار، يوجد معي شريك بالمعركة لا أريد الخروج عن اتفاقنا وعهدنا، فقالوا أخ تائر المسألة ليست شرعية أو فقهية، فرفضت؛ لأنني أقسمت قسم العهد والوفاء، علماً بأنني كنت جائعاً ومتعباً جداً وفي حالة إنهاك، وكنت مثقلاً بالجوع والهموم وبدأت أفقد قوتي وطاقتي الجسدية؛ لأن الأيام الأولى للإضراب يتعرض فيها الجسد للهزات.



وفي صبيحة اليوم التالي بعد صلاة الفجر جاء صوت ينعق كالغراب (أحد أفراد نخشون) ومهمتها نقل الأسرى إلى الأماكن والمحاكم والسجون التي يريدون نقلهم إليها، تم وضع القيود في أيادينا وتركنا حتى الساعة السادسة صباحاً ثم نُقلنا إلى ذلك القفص المقيت والذل المهين وكأننا في أقفاص الموت لمدة ساعتين في البرد، وبعدها إلى سيارة الموت والعذاب (البوسطة)، ثم انطلق الموكب الجنازي نحو سجن ومحكمة عوفر، ونحن نشتم روائح زعتر وزهور وتراب بلادنا المحاذية لمدينة رام الله القريبة من الرملة التي سرقوها وغيروا ملامحها في محاولة لطمس هويتها وشكلها العربي الأصيل، ونمر من وسط الرملة ونرى مسجد الرملة الوحيد المتبقي وبيوت العرب المتبقية بعد النكبة وبيوتهم المنهكة القديمة وفي المقابل بيوت اليهود الفخمة والشوارع الواسعة ومحطة القطار ومدينة اللد العربية المحتلة التي حوّلها المحتل إلى وكر لزراع الموت والجريمة والمخدرات حتى وصلنا إلى مقر المحكمة العسكرية الصهيونية القريبة من سجن عوفر العسكري الذي يتم اعتقال أكثر من 700 أسير، منهم أكثر من 55 طفلاً أعمارهم أقل من 18 عاماً بعضهم مصاب بالرصاص، علماً بأن هذه المحكمة بها معسكر للجيش الصهيوني مقام على أراضي المواطنين الفلسطينيين في بلدة بيتونيا التابعة لمدينة رام الله المحتلة، بعد أن توقفت لمدة نصف ساعة أمام المكان المخصص لإفراغ حمولات الأسرى، وقاموا بإنزالنا واحداً واحداً بالاسم مع التفتيش، يبدأ على درجات البوسطة، ثم تفتيش عند الدخول (الأمانة رقم 1)، ثم النقل إلى الزنازين التابعة للمحكمة والمخصصة فقط للأسرى القادمين للمحاكم من السجون المركزية (نفحة، عسقلان، إيشل،



النقب) وسجون الشمال، أما أسرى عوفر فلهم زنازين خاصة مفصولة عن هذه الزنازين. بعد التفتيش العاري أي تخلع جميع ملابسك أمام السجانين ماعدا الملابس الداخلية يتم إنزالها قليلاً، وأحياناً يتم وضع يد السجان على الأعضاء الداخلية للأسير، ومعهم ماكينة لفحص المعادن التي تعرف بالعبري (ماغنوميتتر)، تم جمع عدد من الأسرى في زنزانة رقم (2) طبعاً هذه الزنازين لا يوجد مردوان مخصص من إدارة السجن لتقديم ما يلزم للأسرى، الذي يقوم بتوزيع الطعام البسيط هم السجانون بطريقة مهينة يتم رمي الطعام بأكياس صغيرة فيها خيارة واحدة مع قطعة خبز مع علبة مربى صغيرة بحجم حبة اللوز الكبيرة مع حبة بندورة صغيرة، يتم رميها من طاقة أو نافذة صغيرة في أسفل باب الزنزانة تعرف بـ (الأشناف) كأنهم يرمون الطعام للكلاب، هذه إنسانيتهم وديمقراطيتهم الزائفة والمتوحشة، هذه وصاياهم العشر التي لا يطبقون منها شيئاً، يتلذذون في إهانتنا والخط من كرامتنا، وإذا جاء (السوهر) أي السجان ونادى كم واحداً أنتم في الزنزانة رقم (2)؟ بالعبري قال (كم أسيراً في مكوم؟) أي كم أسيراً في هذا المكان؟ 12 أسيراً ولكن يوجد أسير مضرب عن الطعام، فقال السجان ما اسمه؟ ثائر حلاحلة، من أي سجن؟ قال له الشباب من سجن النقب، ليش ما بدو يأخذ الطعام؟ قالوا هو مضرب ضد الاعتقال الإداري، طبعاً معه ورقة تم تدوين المعلومات التي سألها للأسرى في الزنزانة، وبعد ساعة جاء اسمي حتى أخرج للمحكمة، فجاء سجان من إدارة سجن عوفر الذي يدير هذه الزنازين ومعه جندي عسكري يلبس ملابس الجيش الصهيوني ويتكلم باللغة العربية، فهو كما علمت من الدروز الذين يخدمون للأسف



في الجيش، ويعمل جنديًا ومترجمًا في محكمة عوفر العسكرية، وقلت لهم لا أريد الخروج للمحكمة وأنا لا أعترف بالمحكمة، قالوا بذك تحرج للمحكمة رغمًا عنك وإذا ما بذك سوف نأخذك بالقوة، طبعًا كنت كباقي الأسرى مقيد القدمين واليدين، فقام الضابط المسؤول عن زنازين المحكمة وهو يتبع لإدارة عوفر بالحديث مع مدير سجن عوفر وأبلغه بالمشكلة أن هناك أسيرًا مضرّبًا عن الطعام وهو معتقل إداري قادم من سجن النقب يرفض الخروج للمحكمة، فقال له المدير على مسمعنا أخرجوه بالقوة، وفعلاً فتحوا باب الزنزانة وجاء عدد من السجنائين ومعهم ضابط استخبارات سجن عوفر العسكري الذي يعرفني واسمه (شريكي) حاول إقناعي أن أخرج بهدوء فرفضت ومعه نائبه واسمه (موتي) ويسكن كما قال في منطقة ومستعمرة (سور هداما) القريبة من القدس المحتلة، وقال لي: أنتم الخلايلة رؤوسكم صلبة وقاسية، حاولوا لأكثر من نصف ساعة إقناعي فرفضت، كما حاولوا إدخالني بالقوة إلى داخل الزنزانة، فدار صراخ وصياح مني ومن الشباب الأسرى حتى وصل إلى عراك بالأيدي، فتراجعوا للخلف إلى داخل الزنزانة، وفي المساء بعد أن أكل البرد من جسدي جاءت البوسطة لإعادتنا إلى الأقفاص في المعبار، وبعد فترة تحركت بوسطة العودة من المحكمة بعد إجراءات التفتيش المهينة والمتعبة والمستفزة والقصد منها إهانتنا والتعدي على خصوصيتنا، تحركت بطريقة جنونية ونحن مقيدو الأيدي والأرجل من صلاة الفجر حتى صلاة المغرب، وصلنا إلى سجن ومعبار الرملة وبعد انتظار على باب السجن لأكثر من نصف ساعة أدخلونا الأقفاص مع تفتيش، بعد صعودنا للبوسطة مكثنا فيها لنصف ساعة وسط البرد



القارس وهم يشعلون المكيف البارد في شهر «3» وبرد الصحراء، وصلنا إلى سجن عسقلان، فقاموا بإنزال الأسرى الجنائيين وبعض الأسرى الأمنيين الذاهبين للتحقيق أو نقل لسجن عسقلان، بعد توقف في عسقلان لمدة نصف ساعة، ثم بدأت تجول وتصول وتغوص في أعماق الصحاري وشكلها مثل أفعى تتلوى تبحث عن فريستها المفضلة وصلنا إلى معبار أهلكيدر- إيشل، بعد التفتيش المذل تم توزيعنا على الغرف في المعبار، جاء الضابط المسؤول عن المعبار ومعه سجان ومردوان (أسير جنائي)، يسأل الشباب بالعربي كم واحدًا هنا؟ فقال الأخوة «10» أسرى ويوجد أسير مضرب، شو اسمه؟ ثائر حلاحلة، ليش مضرب؟ لأنه معتقل إداري، وسجل ملاحظاته عنده، وفي الليل وأثناء محاولتي للحصول على قسط بسيط من الراحة والنوم، وفيما يراه النائب أجد نفسي أمام طفلي لما تسألني وتخطبني متى ستعود يا أبي؟ وكم حاولت أن أهرب من إجابتها وتساؤلاتها، وفي هذه الأثناء أصحو على صوت المؤذن لصلاة الفجر، ثم وضع القيود في الأيدي والأرجل، ثم انتظر في زنازين الانتظار، ثم التفتيش، ثم نطلق إلى سجن النقب الصحراوي، ولكن مسارها كان بالعكس إلى السجن نفسه مع إجراءات الوقوف حتى الانتهاء من إنزال الأسرى المنقولين أو العائدين من النفحة، وبعدها نتحرك نحو سجن ريمون ونفس الروتين من الإجراءات، ثم الرحلة الأخيرة نحو السجن الذي خرجت منه، وصلنا فكان ضابط السجن ينتظرني، نزلت فوضعني لوحدي في الزنازين، وتم إدخالني لقسم «7» سابقًا حاليًا «22»، وهو قسم يسكنه أبناء وأسرى فتح والجهاد الإسلامي غرفة «1» فبعد لحظات من



دخولي الغرفة جاء ممثل المعتقل وقال: إن ضابطاً في السجن يريد مقابلتك، جاء معه أمير الجهاد الإسلامي، وقال لي الضابط المدعوروني: إنك في أثناء وجودك في المحكمة والبوسطة هناك تصوير أنك تأكل. فقلت: هل لك أن تخرجها لي أمام ممثل المعتقل وممثل الجهاد الإسلامي؟ فرفض وقال لي: عليك فك الإضراب وانسحب. وقد أخبرته أنا مضرب وسأبقى مضرباً حتى أحقق مطلبي بالحرية وإنهاء اعتقالي الظالم، وقد علمت فيما بعد أنهم أبلغوا الأسير ورفيق الدرب بلال ذياب أثناء ذهابي للمحكمة أنني فككت إضرابي. فقال لهم بلال ذياب: إذا فعل ذلك نأثر حلالة سوف أقوم بفك الإضراب، ولكن معرفتي بئائر حلالة أنه على عهده وقسمه ولم ينه أو يعلق إضرابه.

وأثناء وجودي في قسم «7» وغرفة «1» عادت محاولات التضييق والضغط عليّ لإنهاء إضرابي من ضباط إدارة السجون وبعض الرافضين لفكرة الإضراب من السجناء وبعض ممثلي الفصائل، في هذه اللحظات الصعبة تمت مراسلة بلال ذياب للاتفاق على خطوة لمواجهة التضييق والضغط علينا حيث قام بلال ذياب بالتوقف عن شرب الماء وأنا تدهورت صحتي وتم نقلي لأكثر من مرة لعيادة السجن والمساومات من قبل المرضى وأطباء السجن الذين هم بالأصل سجانون، ولكن ذلك لم ينجح أمام إرادة سجين يطمح ويحلم بالحرية والكرامة، وأكثر من مرة كنا في العيادة أنا وبلال ونعرض لنفس الضغوطات والتضييق وحتى هذه الأيام ترفض إدارة وعيادة السجن الاعتراف بنا كمضربين، وحتى يتم ذلك علينا الموافقة على إجراءات الفحوصات من الضغط والحرارة



والسكر والدم وأخذ الجلو كوز فرفضنا ذلك مما زاد من تراجع صحتنا.

الانتقال من سجن النقب إلى عيادة مقبرة الرمل

أصبحنا نسمع أن وجودنا يزعج، وأن الإدارة تضغط على ممثلي الأسرى أن يتحدثوا إلينا لإقناعنا بالرجوع عن هذه الخطوة أو الخروج من القسم، وأثناء وجودي في قسم «7» كان أسرى من فتح والجهاد يقومون بنقلي لسيارة السجن، وهنا أتذكر بعضهم وخاصة الأخ الأسير محمد كراجة، وأثناء نقلي للعيادة وافقت على إجراء الفحص بشرط أنه في حالة وجود مؤشرات بتراجع صحتي يتم نقلي إلى المشفى، وعندما قام الطبيب الذي عرف عن نفسه وأنه من القادمين من جمهوريات الاتحاد السوفيتي وقد عمل في الجيش الروسي وضع آلة قياس الضغط، فحمل هاتفه وأجرى اتصالاً مع مدير السجن الذي أمر بإخراجي للمشفى وسيارة الإسعاف كانت تنتظر في خارج الأسر وهي تابعة لإدارة السجن، تم تجهيز القوة التي سوف ترافق سيارة الإسعاف وفي داخل سيارة الإسعاف كان يوجد سجان ومسلح، وبجانب السائق ضابط ومعنا الطبيب المرافق، انطلقت السيارة نحو سجن وعيادة مشفى الرمل وبعد وصولنا والانتهاء من إجراءات التسليم والتسلم تم وضعي في قسم «16» وهو القسم الذي كان يتواجد فيه الأسرى الأمنيون، ويتواجد في هذا القسم أسرى جنائيون عرب ويهود على قضايا جنائية وجرائم قتل ومخدرات، وفي اليوم السادس عشر جاء الضابط لإقناعي بفك الإضراب فرفضت فقام بشتمي وقام أحد الأسرى الجنائيين بالسب والشتم، ويدعو لقتلي لأنني إرهابي ومجرم ومكاني فقط في القبر، كان ذلك أمام ضباط السجن، وبعد أيام التحق بي



الأسير بلال ذياب وتم إدخاله إلى غرفتي وتعانقنا وكانت أجواء الفرح والأناشيد رغم جوعنا وترقبنا لما سوف يحدث معنا، ماذا يخططون لنا؟ وكيف يمكن الصمود لمدة أطول؟ وكيف يمكن مواجهة الضغوط؟ وبقينا بالغرفة «8» حتى يوم 35 (أي من يوم 15 حتى 35) وفي هذه الفترة جاء الأخ الأسير الإداري المضرب عن الطعام عمر أبو شلال من نابلس، وهو مضرب منذ 20 يومًا ويبلغ من العمر 55 عامًا، وفي اليوم السادس والثلاثين جاء ضابط كبير من الاستخبارات المدعو (بيتون) المعروف بحنكته وإطلاعه على أوضاع السجون وعمل الفصائل ومعه مسئول ملف الاستخبارات المدعو (أمل كيوف) يتحدث معنا ويمارس ضغطًا، ولكن بنوع من الحرص علينا وعلى صحتنا، وبعد فشله في إخضاعنا طلب منا أن نقوم بأخذ الجلوكوز (المحلول) ونجري الفحوصات المطلوبة حتى لا نبقى مجهولين صحيًا أمامهم، وقد كان معهم طبيب السجن ووافقنا على إجراء الفحوصات مقابل إعطائنا أغذية كافية والسماح لنا بزيارتين وغسل الألبسة، إعطائنا راديو عند اللزوم ورفضنا أخذ الجلوكوز.

محاولة إبعادي إلى غزة

أثناء تواجدي بغرفة «8» كان معي الصديق بلال ذياب، وجاء إلى باب الغرفة سجان ومعه ممرض طلبا مني أن أجهز نفسي؛ لأن ضابط الشاباك في المخابرات يريد مقابلتي والحديث معي في عيادة السجن، كنت متعبًا ولا أستطيع الحراك فطلبت من السجان والممرض أن يأتي بعربة الكرسي حتى أقدر أن أصل للعيادة، وفعلاً ذهبت للعيادة علمًا بأن القسم مراقب من قبل إدارة السجن وفيه كاميرات، دفعني السجان بالعربة حتى



العيادة وهي ليست عيادة، بل سريرًا وبعض أنواع الأدوية والمسكنات وكل الأبواب تعمل كهربائيًا، رحب بي وعرف عن نفسه بالضابط (مؤيدي) وكنت أعرفه عندما كان يعمل في الاستخبارات، فبدأ بالحديث أنه يعرفني جيدًا ويعرف ملفي ومطلع عليه وقال إنني متشدد ومتطرف وخطير وملفك وتاريخك أسود، ولزوم عليك التعقل بكفى مشاكل وسجون ورأسي حامي يابس وإلى ما ذلك من عبارات التهديد، وجئت اليوم لأعرض عليك عرضًا خاصًا ولم يعرض من قبل على غيرك من الأسرى فهو مريح لدماعك، قلت له وهو يتحدث العربية بطلاقة ما هو العرض والطرح؟ تفضل، فقال لي: أتمنى منك الموافقة على المقترح حتى نرتاح منك ويتم إنهاء قصتك وتعليق الإضراب، قال لدينا قرار في الشاباك بإبعادك إلى قطاع غزة للتخلص منك وتخلص من الإداري ومن المعاناة ومن السجون. كم هي مدة الإبعاد؟ قال لي: حتى الممات. قلت له بالحرف الواحد: أنا اعتقلت من بيتي ومن قريتي خاراس بمحافظة الخليل تعرفها ومن منزلي ومن عند زوجتي ومن عند والدي ووالدي ولن أقبل إلا بالعودة إليهم، فقال ورد بقوة علي: رغم أنك نحن دولة «إسرائيل» القوة الأقوى ونحن نعرف كيف نبعدك إلى غزة، قلت: إذا كان لديكم في هذا السجن مقبرة أحفروا لي قبرًا وادفوني فيها أفضل من الإبعاد. فقال: أنت واحد مجنون ومعتوه ومتطرف بتضرب رأسك بالحيط والعناد لن ينفع، أفضل لك وافق أنت اليوم متزوج ولديك طفلة فكفى مشاكل ضد أمن دولة «إسرائيل». قلت له: أنا معتقل منذ عشرين شهرًا دون تهمة ودون ذنب أو ملف إذا كان علي أي شيء اعرضوني على التحقيق والمحكمة،



فخرج غاضباً يلعن ويسب ويشتم، وتم إعادتي للغرفة دون تحقيق نتائج تذكر، فكانت هذه الجلسة الوحيدة التي جلست فيها مع الشاباك وعادة الذي يكون حلقة وصل مع الشاباك إدارة السجون وضباط استخبارات السجون، فكانت هذه الجلسة لوقف الإضراب والتأثير على معنوياتي وإرادتي ولكنها لم تنجح.

رحلة عذاب أخرى

بدأت أيام الإضراب تطول والجوع يزداد والمعاناة تزيد وتنتشر الأوجاع في جميع جسدي، تم العمل من قبل محامي الدفاع الموكل من قبلنا المحامي جميل الخطيب، وفي اليوم الرابع والأربعين من الإضراب، ثم تم تجهيزنا وتفتيش أجسادنا التي لا تقوى على الحركة ووضع القيود في الأيدي والأرجل وتسليمنا لوحدة (النخشون) الذين تعاملوا معنا بكل وقاحة وإرهاب واستفزاز، ثم وضعنا في سيارة صغيرة ورفضوا مساعدتنا للصعود إلى السيارة فزحفنا زحفاً وهم ينظرون إلينا ويضحكون بأعلى أصواتهم، بعدها سارت السيارة البوسطة برفقة البوسطة الكبيرة باتجاه محكمة عوفر العسكرية في معسكر عوفر القريب من رام الله، وأثناء نزولنا من السيارة قال لي أحد أفراد الوحدة: أنا أكره العرب والفلسطينيين يجب أن يموتوا، فتم إدخالنا إلى زنزانة رقم «2» التابعة لمحكمة عوفر، وكان معنا أخ مضرب إداري وهو عدي كيلاي، وأسير آخر مضرب من سجن مجدو لا أتذكر اسمه وأسير آخر من الجبهة الشعبية وهو كبير في السن ومعتقل إداري أيضاً، جاء موعد الجلوكوز والطعام ورفضنا استلام الفطور لأننا مضربون عن الطعام، والأسرى غير المضربين في داخل الزنزانة رفضوا إدخال الطعام



احترامًا لنا وتضامنًا معنا، هنا تتجلى النخوة الحقيقية والترابط، وهذا دليل أن المواجهة توحد الناس والأسرى والشعب، فجاء أحد السجنانيين ومعه جندي احتلالي ومعهم الضابط المكلف بمتابعة قسم زنازين محكمة عوفر وقالوا: أين بلال وثائر؟ عليكم محكمة، فتم إخراجنا ونحن مقيدان وعلى الكراسي المتحركة حتى وصلنا القاعة المخصصة للمعتقلين الإداريين، وطبعًا لا يحق للمعتقل الإداري أن يحضر أحد من أهله محاكمته، فتكون المحاكمة سرية كما هي المعلومات سرية لا يطلع عليها سوى المخابرات، ولا يحق في كثير من الأحيان للقاضي العسكري بدواعي الماطلة وأن المعلومات سرية، ولم يبدِ القاضي ولا النيابة العسكرية (المخابرات) أي اهتمام لتراجع أوضاعنا الصحية وتم تجاهل ذلك بقصد وعن عمد.

وأثناء جلستي في المحكمة السورية وجهت المحكمة التهمة: «إن هذا الأسير متورط في أنشطة إرهابية»، وله ماضٍ أمني كبير ووجدت له معلومات جديدة تعزز المعلومات السابقة والتي بناءً عليها تم اعتقاله وتجديد اعتقاله الإداري أكثر من مرة، وهي مواد سرية لا يمكن كشفها، وأنني نشيط في منظمة إرهابية كما قال هي الجهاد الإسلامي، وأن هذه المنظمة قامت بأعمال معادية ضد المواطنين والجنود الإسرائيليين، وحتى وهو بالأسر كان يمارس أنشطة تضر بأمن السجن. وبعدها تحدث محامي الدفاع جميل الخطيب دحضًا لما قالته النيابة، وأن هذا الأسير له فترة طويلة في الاعتقال الإداري، وأنه في وضع صحي صعب ويمكن أن يموت إذا لم يتم إنهاء اعتقاله الإداري، وهو متزوج ولم يتم التحقيق معه ولا يوجد عليه اعترافات، وكذلك الأسير بلال ذياب نفس الديباجة فقط باختلاف



الأسماء، وتحدث القاضي العسكري فهو عسكري متقاعد خدم بالجيش في المنطقة المحتلة أنه سوف يتخذ القرار المناسب بعد الجلسة ولم يتحدث عن وضعنا الصحي.

عدنا إلى الزنزانة التي بقينا فيها مقيدين حتى المساء وهي باردة وأجسادنا أكثر برودة، جاءت البوسطة والنخشون حتى يتم إعادتنا إلى معبار الرملة ومنه إلى عيادة الرملة، لكن لم يتم وضعنا في السيارة الصغيرة بل علينا الصعود للحافلة «البوسطة الكبيرة»، ونحن لا نستطيع إلا إذا قام أحد بمساعدتنا، تحدثت مع مسؤول وحدة النخشون: نحن لا نستطيع الصعود، لماذا لا يتم وضعنا في السيارة الصغيرة؟ فقال: نحن من نحدد وليس أنتم. قلت له: نحن مضربون عن الطعام لأكثر من 40 يومًا. قال: هذا لا يعنيني بشيء، هل أنا الذي قلت لكم اضربوا عن الطعام؟ وكان الأسرى في البوسطة يسمعون الجدل من خلال نوافذ البوسطة، حاول بعض الأسرى الجنائيين العرب إقناع ضابط البوسطة، ولكنه رفض مما اضطر الأسرى للنزول وحملنا على أكتافهم إلى داخل البوسطة في موقف رائع، وأجلسونا على مقاعد البوسطة الحديدية الباردة، فتحركت إلى عيادة الرملة.

قرار المحكمة العليا:

بعد رفض الاستئناف في محكمة عوفر اتخذنا قرارنا أنا والأخ بلال بعدم الذهاب إلى العيادة لإجراء الفحوصات كنوع من الضغط على سلطات الاحتلال، خاصة وأن الحالة الصحية تزداد سوءاً وبشكل ملحوظ، وأمام هذا الوضع تم تحديد محكمة جديدة، في المحكمة العليا



بالقدس، قال القاضي في قراره إن إضراب الأسير لن يقدم ولن يؤخر، بل أنتم اخترتم تلك الخطوة بمحض إراداتكم ولسنا مسئولين عن تراجع صحتكم، أنتم تتحملون مسئولية ذلك، نحن لم نقل لكم اضربوا عن الطعام، قلت للقاضي: إن السبب الرئيسي لإضرابنا هو أنتم؛ لأنكم لم توجهوا لنا أية تهمة معينة إنما هي معلومات قائمة على الظن والشك وغير حقيقية وتقارير غير دقيقة وغير مستندة على واقع فعلي، ونعرف أن هذه المحكمة هي ديكور وليس أكثر من ذلك، رغم ذلك لن نتراجع عن إضرابنا، فهذا حقنا أن نحصل على حريتنا، أنتم تعتدون على حقنا في التعبير والمشاركة وقول رأينا نحن جزء من شعب يتعرض للاحتلال، فأنتم احتلال ولا يمكن أن نقول عنكم غير ذلك، وكل العالم يعرف أنكم تحتلون شعباً آخر علماً بأن الأسرى والمعتقلين في كافة السجون قد دخلوا إضراباً مطلبياً تحت عنوان (إضراب الكرامة) في 17 أبريل (نيسان) 2012م، وشاركت فيه قطاعات كبيرة من الحركة الوطنية الأسيرة، في هذه اللحظات جاء إلينا ضباط إدارة ما تسمى مصلحة سجون الاحتلال يتوعدون ويهددون ويقولون أنتم الأفضل لكم أن تنهوا إضرابكم، أنتم لوحدكم، الأيام التي مضت على إضرابكم لا قيمة لها ولا اعتبار لها عندنا، الأفضل لكم التوقف عن الإضراب، الناس والإعلام لا أحد يتحدث عن إضرابكم، فكان ردنا عليهم وبلغه واحدة مني ومن الأخ بلال ذياب موقفاً حاسماً خاصة عندما قال لهم بلال بصوت عالٍ وأمام مدير السجن في الرملة وضباطه أننا نفضل الموت والاستشهاد على أن نتراجع؛ لأن التراجع هو الموت، وبقي بلال يصرخ ويهتف إما النصر أو الشهادة لا



خيار لنا سوى الصبر والثبات وسوف نحقق ما نريد الحرية الحرية.

■ الاقتراب من لحظة الشهادة:

وفعلاً تم تجهيز الكراسي المتحركة لي ولبلال وتفتيش أجسادنا التي لا تقوى على شيء، ووضعنا في سيارة إسعاف تابعة لمصلحة السجون وعليها حراسات من وحدة النخشون، لقد كان أفراد النخشون يتعاملون معنا بحقارة وكراهية وحقد وهمجية، وتم تشخيص صورنا ومطابقتها، كنت أشعر وفي هذه اللحظات بالموت وكأنه الخروج الأخير من البوسطة وكانت هذه البوسطة صعبة جداً، وتم وضعنا على الكراسي وليس على سرير سيارة الإسعاف والكراسي المتحركة، وتم تقييدها بأرضية سيارة الإسعاف، وطبعاً نحن مقيدو الأيدي والأرجل فكان معنا في داخل السيارة طبيباً وممرض وضابط بالقرب من السائق، ويتابعون أوضاعنا وهم على تواصل مع إدارة السجن ومع مدير السجون الذي يعرف (التسيف)، ويرافق سيارة الإسعاف سيارات تابعة لوحدة النخشون وكلب مدرب، وبعد انتظار داخل سيارة الإسعاف من الساعة 4:30 فجراً حتى الساعة 6 صباحاً ونحن ننتظر التحرك، تحرك الموكب الجنائزي وعلى متن هذا الموكب شهيدان مع وقف التنفيذ، لكنهما حيّان وعلى بوابة الشهادة، ونحن أقرب إلى الموت، بدأ الموكب بالسير نحو المدينة التي تهواها قلوبنا ومهبط وحينا، ومعراج ومسرى رسولنا ومهجة الفؤاد، وقبله جهادنا، نحو القدس المحتلة التي يستوطنها الغرباء، وقبلها مررنا بمدينة الرملة المحتلة التي تذكرونا بالصلح الذي عقده القائد العربي الكردي المسلم صلاح الدين الأيوبي، وها هي الآن تقع تحت نير ظلمهم ويسرحون ويمرحون فيها،



وأنا مقيد اليدين والرجلين، ولا أراها إلا من خلال نوافذ وثقوب صغيرة، وكذلك ينطبق على مدينة اللد العربية، نعود للقدس والطرق المؤدية إليها والجبال والوديان التي سرقوها وحولوها لمتزهات وحدائق لأطفالهم، ونحن أطفالنا محرومون منها، القدس مدينة السلام والمحبة، المدينة الأكثر قداسة، هنا تذكرنا رحلة النبي محمد ﷺ الإلهية، وكيف هي رحلتنا ونحن في عذاب وظلم، قرأت على يافطة أو لوحة مكتوب عليها باللغة العربية (قربة بيت نقوبا) كم هي جميلة بأشجارها الكثيفة والمتلاصقة! وقد حدثني صديق لي قبل اعتقاله عنها وعن عيون الماء فيها والينابيع، وعن الجلوس فيها وعن هوائها العليل، بكت عيناى وتنهدت وكذلك رفيق الدرب بلال كنا في حالة ذهول وحسرة، وهذا السكون دليل حب وانتماء لفلسطين، وهذه القيود والمعاناة من أجل حريتها وكرامتها واستمر الموكب الجنائزي المحمل ببشرٍ أحياء يصارعون بأمعائهم دولة الاحتلال، غرسها الغرب وأمريكا في خاصرة الأمة وأمدها بكل أسباب القوة والمنعة، فبنوا حلم يهود المزعوم، وقد جاءوا من بقاع الدنيا لبناء دولتهم، دولة الشعب اليهودي على أرض الميعاد المزعومة، وأن الرب في اعتقادهم منحهم إياها، فهي عطيةٌ لهم وليس كل نسل إبراهيم عليه السلام.

وصلت السيارات المرافقة لنا (البوسطات) إلى بلدة أبو غوش، بدأت القلوب تهتز لحظة الوصول لمشارف المدينة العزيزة، والقلوب تعتصر ألماً على ما حل بها من تغيير هويتها وعروبته وإسلاميتها حيث وصلنا لبلدة القسطل التي لها نصيب في الذاكرة الجميلة لشعبنا العربي الفلسطيني، هنا قاتل الشهيد القائد عبد القادر الحسيني وبطولاته ومعركته



الباسلة والخالدة ورفيق دربه الشهيد إبراهيم أبو دية ابن بلدة صوريف وقصته في الجهاد المقدس والبيان الذي ألقاه الشهيد إبراهيم أبو دية في تأبين الشهيد الحسيني، وتذكرنا معًا حالة الأمة التي تذبح نفسها بنفسها أمة غارقة في دمها، تمزقها الخلافات والصراعات الهامشية والمذهبية، بينما عدوها المركزي يتطور ويزداد غطرسةً وتوحشًا وإرهابًا، كم نحن في هذه الظروف الصعبة بحاجة لوحدة الصف والكلمة وللمخلصين الأوفياء لإنقاذ ما يمكن إنقاذه، ووقف شلال الدم بين أبناء ومكونات الأمة وإغلاق بيوت العزاء، أخيرًا وصلت البوسطة وسيارة الإسعاف إلى المكان المراد الذي يطلق عليه الصهاينة مباني الأمة، ووصلنا إلى مرآب مخصص لوقوف السيارات، فتم إنزالنا من سيارة الإسعاف، فكان لكل واحد منا سائق لكرسيه وحرسته المدججين بالموت والحقد والكراهية والسلاح المتطور، وهنا تذكرت الآية القرآنية ﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَاقِبٌ وَشَهِيدٌ﴾ [ق:21]، أدخلونا الزنزانة في المحكمة العليا، وطبعًا تختلف عن زنازين محكمة عوفر الرديئة والباردة وذات الروائح الكريهة، ولكن هذه الزنزانة تحظى بالاهتمام والتنظيف والمكيفات، كم كانت زنزانة باردة في البداية كبرودة أجسادنا التي بحاجة إلى طاقة تفقدها وفقدتها طوال كل هذه المدة، وبعد ساعة من الانتظار نادوا على أسمائنا: عليكم جلسة محكمة، صعدنا على مقاعد سيارتنا وكراسينا المتحركة كأننا من أصحاب الاحتياجات الخاصة، وصلنا قاعة المحكمة العليا (ما تعرف محكمة العدل العليا الصهيونية)، شكلها وتركيبها ومنظرها غريب وعجيب لافت للنظر تدهش من وضعيتها، وهي مختلفة عن شكل محاكم الاحتلال العسكرية



كونها محكمة مدنية متخصصة مع أنني لا أؤمن أنها مدنية؛ لأن كل أبناء هذه الدولة خدموا بالجيش أو أي أجهزة تابعة للدولة، حتى ملابس القضاة الثلاثة الذين يجلسون في مكان مرتفع عن الناس وعن الأسرى الذين سوف يعرضون عليها، ملابسهم ليست عسكرية كما القاضي العسكري الذي يلبس بدلة عسكرية وعليه رتبة عسكرية النيابة العسكرية (المدعي العام- الشاباك) في مكان منخفض عن القضاة، وعن الحضور الكبير وفي مكان مرتفع عن القضاة الثلاثة وعن المدعين أو الحضور أو محامي الدفاع جميل الخطيب ومحمود حسان والمحامي جواد بولص.

وحيث إن قاعة الحضور تتسع لأكثر من 500 شخص، حيث يوجد متضامنون أجانب وحشد أهالي مدينة القدس وصحفيون ونشطاء وقادة سياسيون منهم المرحوم أحمد هاشم زغير -رئيس اتحاد الغرف التجارية الصناعية الزراعية الفلسطينية-، ونائب سابق في التشريعي، والأعضاء العرب من فلسطين المحتلة الدكتور أحمد الطيبي وطلب الصانع ومحامي الوالد سابقاً والصديق أسامة السعدي، واصل أبو طه، وقصري أبو واصل، ورجا اغبارية من حركة أبناء البلد في عام 1948م ومدير نادي الأسير بالقدس المحتلة ناصر قوس ورئيس لجنة أهالي الأسرى المقدسيين أمجد أبو عصب، ولن أنسى أمهاتنا من القدس المحتلة وكنا نرى الدموع في عيونهن، وهنا تذكرت والدتي التي كانت في هذه اللحظات تعيش لحظات صعبة وقاسية ومتعبة وكانت مضربة عن الطعام كما علمت ونقلت للمشفى في الخليل.

وقام أحد النشطاء المدافعين عن قضايا الأسرى علاء الحداد من



القدس بالتقاط صور لنا، وقد كان لهذه الصور تأثير على حركة الشارع والإسناد والتضامن والتفاعل مع إضرابنا الإنساني، وكان يقف معنا في المكان المخصص لنا وللأسرى ونحن على كراسي متحركة نخشى الحديث مع أحد من الحضور أو حتى إعطاء إشارة، وكنت أتوقع أن أرى أحداً من أهلي، ولكن للأسف ممنوع من الدخول للقدس بحجة المنع الأمني وعدم الحصول على تصاريح لدخول مدينة القدس المحتلة التي هي مدينتنا وتاريخنا وتراثنا صدق المثل العربي القائل (الدار دار أبونا وجاء الغرب يطردونا)، قبل البدء بجلسة المحكمة سقط الأسير بلال من على كرسيه المتحرك مغشياً عليه، سادت حالة من البلبلة والتوتر داخل المحكمة، مما دفع الدكتور العربي أحمد الطيبي للطلب من قضاة المحكمة العليا أن يتم السماح له بإجراء فحص للأخ بلال وذلك بسبب عدم وجود طبيب أو ممرض في قاعة المحكمة، وقام الدكتور الطيبي بمعاينة الأخ بلال وقد قال للقضاة إن وضع الأسير صعب وجسمه بارد وقال لهم هذه ديمقراطيتكم للتصرف مع أسير مضرب بهذه الطريقة؟ مقيد ولا يقوى على الحركة، مما دفع رئيس المحكمة مرة أخرى الطيبي لكتابة طلب رسمي للسماح بفحصه، فذهب الطيبي مرة أخرى لفحص بلال فقام أحد أفراد النخشون بمنع الدكتور الطيبي، فعاد إلى القضاة وقال لهم إن أفراد النخشون يرفضون أن أقوم بفحص الأسير رغم إبرازي لورقة الموافقة منكم، فتحدث القضاة مع جهة عليا فسمح للطبيب بالفحص وتحدث عن وضع بلال الصحي للقضاة ولسماع الحضور والإعلام والمتضامنين والأجانب، لقد وجدت بلال منهك القوى وهناك خطر على حياته



وعليكم تحويله للمشفى، فوضعوا بلال للأسف في زنزانة حتى عدت إليه بعد انتهاء الجلسة التي تحدثت فيها، وتحدثت النيابة العسكرية ومثلوها عن الأسير بلال وخطورته وأنه أسير سابق وناشط عسكري ويجب ألا يخرج من الأسر وأن إضرابه لن يقدم ولن يؤخر، وتحدثت النيابة العسكرية «الشاباك» عني بأنني خطير على المنطقة والجمهور وذو مكانة معروفة في التنظيم الإرهابي وأن له تاريخاً وماضياً أمنياً، وتقصير مدة الاعتقال الإداري يعرض أمن الدولة أو الجمهور للخطر، وكذلك ورود مواد جديدة تؤكد خطورته وهذه المعلومات جاءت أثناء إضرابه! شيء غريب أسير مضرب عن الطعام ومعزول عن الناس والأسرى ولا يرى أحداً ويأتي عنه معلومات وهو مضرب ومعزول عن الناس، ولا يرى أحداً، وهو نشيط ومريض داخل السجن، فخروجه يشكل خطورة واضحة، فتحدثت هيئة الدفاع الموكلة بالدفاع عني فبدأ بالحديث المحامي جواد من نادي الأسير حيث أبدى استغرابه واستهجانه من كلام وحديث النيابة العسكرية والشاباك وقال إن الأسير نائر حلاحلة في الاعتقال الإداري أكثر من 20 شهراً وعليه كل هذه المعلومات ويشكل هذه الخطورة لماذا لا يتم عرضه للتحقيق؟ وإذا ثبت عليه شيء فليتم تقديم لائحة اتهام ضده، وأنا أعتقد أنكم ستمارسون التضييل والتهويل وكل ما جاء عن الأسير لا يستند لأي أرضية أو واقع حقيقي، وكذلك تحدث المحامي جميل الخطيب عند ادعاء النيابة طالباً بالإفراج عني وتقديم العلاج المناسب لي ولزميلي بلال، وفي هذه اللحظات طلب رئيس المحكمة والقضاة أن أتحدث إذا أردت رغم تعبتي وجوعي وقهري وجسدي الذي يتآكل، وقفت وبكل إرادة وعزيمة



وإصرار، قلت بحرارة الروح إنني مظلوم وصاحب حق، أليس من حقي العيش بكرامة وحرية بعيداً عن السجون؟ وإنني عندما أعلنت الإضراب عن الطعام لم يكن هدفي الجوع وتعذيب نفسي وزيادة قهر وحزن عائلتي، ولم أكن أبحث عن الموت بقدر بحثي عن الحياة، فأنا معتقل إداري ودون تهمة ودون وجه حق، وأنتم تحرمونني أن أكون إلى جانب زوجتي وطفلي الوحيدة التي ولدت ولم أرها إلا عبر الصور، ولم ألمس يدها الناعمة، وهي لا تعرفني، ووجهت سؤالاً للقضاة: هل أحد منكم يقبل أن يكون بالسجن دون تهمة؟ هل يقبل أحدكم الابتعاد عن أسرته وليس في السجن ليلة عيد الفصح والغفران بخاطركم طبعاً لا؟ هل أحد منكم يقبل أن يكون بعيداً عن أطفاله دون سبب في مناسبة اجتماعية خاصة به؟ أليس من حقي العيش كباقي شباب العالم أو كما يعيش شبابكم؟ وها هي طفلة على أبواب عامها الثاني ولم أمسكها ولم أشاركها العيد والفرحة! والسبب أنتم، عند الانتهاء من الحديث طلب القضاة رفع الجلسة وجعلها مغلقة بين النيابة العسكرية والقضاة لمناقشة الملف بينهم سرّياً رغم أنهم هم أنفسهم قضاة ومدعون هم جلادون وصدق المثل العربي: «إذا كان غريمك القاضي لمين الشكوى».

خرجت وأنا أرفع إشارة النصر والتحية للحضور وإن النصر والحرية قادمة، فقام أفراد النخشون بمنعي وطردي وسحبي بالكرسي المتحرك إلى الزنزانة، فوجدت بلال وقد كنت أظن أنهم أخذوه للمشفى، ولكنهم أبقوه وحده في الزنزانة دون عمل أي شيء له، لا علاج ولا فحص، فحدثته عما جرى بالمحكمة فقد كان يصرخ من شدة الوجع والآلام في



صدره وبطنه، وكان مرهقاً لدرجة كبيرة، انطلقنا عائدين إلى مقبرتنا المؤقتة، إلى عيادة مشفى سجن الرملة، وأثناء العودة شاهدنا الكثير من المناظر الجميلة وتناسينا كل الأوجاع والجوع.

وصلنا إلى المقبرة مساءً وبقينا ننتظر قرار المحكمة العليا فكان المتوقع الرفض، فجاء كصاعقة علينا وعلى أهلنا وعلى المتضامنين والمساندين لنا، فهو إعدام مرة أخرى، بل إعدام فعلي لأننا لم نعد نتحمل كل هذه الأيام الطويلة من الإضراب والجوع، فكان لدينا راديو سمعنا خبر الرفض عبر راديو وإذاعة أجيال التي تبث من رام الله، كما يلي: المحكمة العليا الإسرائيلية ترفض الاستئناف المقدم من قبل الأسيرين المضربين عن الطعام بلال ذياب وثائر حلاحلة لأكثر من 66 يوماً رفضاً للاعتقال الإداري، وسط تراجع في صحة الأسيرين، ولكن ورد في القرار الخاص بالأسير المضرب عن الطعام ثائر حلاحلة تفسيرات قانونية تطالب الشبابك إذا كان هناك ما يكفل تحويله للتحقيق، وإذا لم يكن فعليكم أن تطلقوا سراحه، ولم تكثرث المحكمة العليا بكون الأسيرين مضربين عن الطعام.

بلال ذياب على بوابة الشهادة

عندما خضنا أو قررنا خوض هذه المعركة الإنسانية كان معنا إيماننا ومعية الله، والرجال الذين تقدموا عندما يتأخر الآخرون، فكان بلال من خيرة الرجال ومن القلائل، لا يعرف الليونة أمام سجانه رغم وجعه وجوعه، لقد أظهر صلابَةً وعنفواناً في معركته رافعاً شعاره منذ البداية إما



نصر وحرية وكرامة أو استشهاد، لا يعرف الحل الوسط ولا حتى أنصاف الحلول، هكذا هي الثقافة التي تعلمناها لا تتنازل أمام عدوك وسجانك.

في الأيام الأشد قسوة وهي الستون يوماً فما فوق، تدهورت صحة بلال بشكل مفاجئ حيث وصلت دقات قلبه النابض بالحياة والعزيمة ووضوح الرسالة إلى أقل من 37 دقة في الدقيقة، وقد شاهدته لا يتنفس وشعرت أنه استشهد وبدأت أصرخ رغم ضعف جسدي، ولكن صوتي وإرادتي بقيت مرتفعة وأنا أقول: يا إدارة يا سجان يا عالم بلال استشهد، فضربت أجهزة الإنذار في كل سجن الرملة وهرعت إدارة السجن وضباطها وسجانوها وأطبائها وممرضوها إلى الغرفة التي كنت فيها ومعني بلال، مباشرة تم وضعه على حاملة ونقله بسيارة إسعاف تابعة لإدارة السجون لمشفى «أساف هروفيه» الواقعة على طريق مدينة تل الربيع المحتلة ومدينة اللد والرملة، وتقام هذه المشفى على أرض من أراضي بلدة صرند وقد وصل الخبر إلى وسائل الإعلام والجهات الرسمية والفصائلية، وفعلاً كان بلال شهيداً لولا لطف الله، تم إعادة النفس له؛ لأنه أصلاً يعاني من مشاكل في التنفس والقلب ورفض أخذ أي مدعمات أو محاليل رغم خطورة صحته بسبب وجود القيود في الأيدي والأرجل، حيث تدخل المحامون وأحد الأطباء العرب في المشفى لإقناعه فرفض، فتم إعادته لعيادة سجن الرملة وفي نفس الليلة تدهورت صحته مرة أخرى وبدأت بالصراخ على إدارة السجن، وكنت أسمع صوت خافت يخرج من بلال أنه سوف يستشهد ويقول لي لن أعود إليك مرة أخرى، وهنا بدأت المناادة مع بكاء وصراخ وأدفع بكرسي المتحرك باب الغرفة التي نحن فيها، ضربت



أجهزة الإنذار في كافة أقسام سجن الرملة التابعة له فجاءت كل الطواقم الإدارية وهي في هلع، وتم نقله للمشفى خارج السجن وبعد ما أعادوا إليه النفس طلبوا منه أن يتصل بوالدته وأن يطمئنها على نفسه، وفعلاً تم الاتصال دون شروط وقال لوالدته أمام الضباط أنا بخير الحمد لله المعنوية عالية وسوف أعود إليكم منتصراً بإذن الله، فتم إغلاق الهاتف مباشرة وعاد لغرفته وهو يكبر ويهمل وهم يدفعون به على الكرسي المتحرك، وهم في حيرة من أمرهم، كيف لإنسان مضرب عن الطعام طوال هذه الفترة ولا يزال شائخاً ومصمماً على مطالبه، علماً أنه في هذه الفترة كانت إدارة السجون قد جلبت عدداً من الأسرى إلى سجون المضربين عن الطعام من أجل تحسين ظروفهم المعيشية، وكانوا في نفس القسم الذي كنا فيه معاً، وقد كانوا مستغربين كيف هؤلاء صامدون ويستمررون في إضرابهم طوال هذه المدة، فكانوا لنا سنداً ودعماً.

المحامي جواد بولص يبكي

في اليوم الـ 68 من الإضراب عن الطعام، معركة الأمعاء الخاوية والإرادة الصلبة والقوية، جاء لزيارتنا كعادته منذ لحظة انطلاق مركب إضرابنا المحامي الأستاذ جواد بولص، مدير الدائرة القانونية في نادي الأسير وابن بلدة كفر سيف في المثلث المحتل الذي لم ييخل علينا من وقته وجهده، وقد كانت زيارته لنا بمثابة نافذة للحياة في ظل الحصار والتضييق والمنع من زيارات الأهل التي فرضتها إدارة السجون لحظة إعلاننا الإضراب وكسر سياسية الاعتقال الإداري، وصلنا للغرفة المخصصة للقاء المحامين كل واحد منا على كرسيه المتحرك ومعه سائقه، فبدأ بالسلام



علينا عبر ميكروفون مثبت بالحائط بيننا وبينه زجاج عازل ومقوى، وأحياناً لا نسمع، والغرفة مزودة بالكاميرات من كل جانب، وبدأ يسألني عن أوضاعنا وعن معاملة إدارة سجن الرملة فسقط بلال أرضاً وكنت أتصعب عرقاً وكان بلال فاقداً الوعي، وهنا شاهدت الأستاذ جواد ييكي ويصرخ على ضباط السجن أن يأتوا مباشرة لأن هناك أسيراً مغشياً عليه، وقد كنت في وضع لا أحسد عليه، لا أستطيع عمل شيء سوى الصراخ والتكبير وحرارتي مرتفعة جداً، ولكن بقيت واعياً لما يدور حولي، فنظرت لبلال فإذا هو لا يتحرك قلت لهم بلال استشهد، وبعد دقائق معدودة حضر الطبيب وكل الممرضين والضباط وفتحوا باب الغرفة المخصصة لزيارة المحامين وتستخدم لزيارة الأهل لأبنائهم الأسرى، وأخذوا بلال للمشفى وتم إعادتي أنا إلى غرفتي في عيادة السجن، فعرض علي الطبيب أخذ بعض المحاليل فرفضت حتى أطمئن على أخي بلال، وتم عمل الفحوصات للأخ بلال، ولكنه رفض أخذ أي محلول أو مدعيات فتم إعادته لعيادة الرملة.

الأسير المضرب عن الطعام محمود السرسك يصرخ: ثائر استشهد!

في اليوم السابع من الإضراب عن الطعام من معركة الأمعاء الخاوية تم نقلي من غرفة «5» إلى غرفة «8» وتم فصلي عن أخي بلال حيث كان معي في نفس الغرفة «8» الأسير المضرب عن الطعام حسن الصفدي الذي مضى على إضرابه 60 يوماً على التوالي، وكذلك الأسير أبو شلال وهما من مدينة نابلس المحتلة له 50 يوماً بالإضراب، وهما مضربان أيضاً للاعتقال الإداري، والأسير فازع جلس مضرب عن الطعام لأكثر



من 25 يومًا وهو محكوم وليس إداريًا، فكان مضرِبًا مع الإضراب العام في السجن الذي انطلق في 17 أبريل (نيسان) 2012م لإخراج المعتقلين والسماح للأسرى بالعودة للتعليم، والسماح للأسرى من قطاع غزة بالزيارة وغيرها من المطالب المعيشية الأخرى، والأسير محمود السرسك من قطاع غزة وهو مضرب عن الطعام رفضًا لوضعه في السجن تحت بند يعرف بالمقاتل غير الشرعي، ويستخدم هذا القانون فقط عند أهالي قطاع غزة، ويشبه الاعتقال الإداري علمًا بأن محمود السرسك هو لاعب كرة قدم حيث كان قد هرب مذياعًا صغيرًا إلى غرفته، وبالعنف المجاورة لنا كان يوجد أسير جنائي من فلسطين المحتلة وهو رجل طيب ومحِبُّ لنا واسمه حسن يقوم بوضع جهاز التلفاز الخاص بغرفته عندما كان برنامج «لأجلكم»، الذي يقدم على تلفزيون فلسطين، وشاهدت والدتي وإخواني وأخواتي وأعمامي والمتضامنين معي في هذه اللحظة، وقد سمعت والدتي للمرة الأولى بعد أكثر من 70 يومًا من الإضراب تسألها مقدمة البرنامج: ماذا تقولين أم ماهر لابنك الأسير المضرب ثائر حلاحلة؟ قالت: ابني سوف يكسر القيد وأنت بطل، وارفع رأسك أنت صحيح ابني ولكن أنت ابن فلسطين، وفلسطين تستحق منا التضحية، وهنا لم أملك دموعي من النزول وكأني آخر مرة أسمع صوتها، وبعدها دخلت لقضاء حاجتي، وبعد الخروج سقطت على الأرض وشعرت بدوخة ودوران شديد وعدم اتزان وعدم وضوح في الرؤية، بدأ محمود السرسك صاحب الصوت الجمهوري والعالي يصرخ كأنه في مباراة كرة القدم، يقف على باب الغرفة، يا شباب! ثائر حلاحلة استشهد! ويذهب للشبابيك والنوافذ المطلّة على



أقسام والسجون التابعة لمجمع سجن الرملة يكبر وينادي: نائر حلاحلة استشهد! وعلى النوافذ المطلة على ما يطلق عليه سجن معين للأمراض النفسية والعقلية، وفي نفس القسم الذي كنا فيه كان يوجد حوالي 20 أسيرًا قادمين من السجون مضربين عن الطعام، بدأوا يكبرون بأعلى أصواتهم، وأتذكر أحد الأسرى يطلق عليه اسم «رامبو غزة» يصرخ: يا سجان! يا عالم! نائر استشهد! وكذلك الأسير المريض الذي كان مضربًا عن الطعام من أجل علاجه أكرم الرخاوي من قطاع غزة ينادي ويضرب على بوابة غرفته، وأثناء مناداة الأسير محمود السرسك لاعب منتخب فلسطين الرياضي على الأقسام التي يسجن فيها الأسرى الجنائيون، وقد تم اعتقالهم على خلفية عدم حصولهم على تصريح لدخول المناطق المحتلة عام 1948م فكان بينهم عدد من أبناء بلدي خاراس شمال غرب الخليل المحتلة، وقال لهم السرسك إن ابن بلدكم نائر عزيز حلاحلة قد استشهد، وهم بدورهم أبلغوا عائلتي أن نائر استشهد، فوصل الخبر للإعلام وجهات الاختصاص في قضايا الأسرى، وعلى الفور هرعت قوات السجون وطواقمها وضباطها المدججة بكل العتاد والأطباء حيث قام شباب الغرفة كما علمت بنجاح بخلع الباب فقامت الإدارة بحملي ونقل للمشفى، وأتذكر هذه اللحظة وإدخال السيارة، وبعدها لم أشعر بأي شيء إلا عندما تم إنعاشي في المشفى، وقد كانت بجانبني ممرضة فلسطينية من فلسطيني 1948م وتعمل في مؤسسة ما تعرف (نجمة داود الحمراء) وقد كانت تبكي وتطلب مني أن أتحدث إليها وأقول لها إنني أسمعها، وقد كنت أسمعها ولكن لا أستطيع الحديث والكلام، وبعد أكثر من ساعتين رفضت أخذ أي مدعمات أو



أي محلول، تمت إعادتي لعيادة سجن الرملة، وفي الطريق سمعت حوارًا وجدلاً ما بين سائق سيارة الإسعاف والضابط حول قانونية الاعتقال الإداري ويقول أحدهما لماذا تقوم الدولة والأمن عندهم باعتقال شخص دون تهمة ودون لائحة إتهام لعدة سنوات أو شهور؟ ثم يخرج ويتم إعادة اعتقاله وهكذا، هذا غير قانوني أين القانون أين العدل؟! ويرد الآخر عليه: هؤلاء إرهابيون وخطرون ولا يوجد بينهم أحد بريء، ويجب أن يتم اعتقالهم وإبقاؤهم في السجن أو قتلهم، وهنا تدخلت هذه الممرضة العربية: عليكم التوقف عن هذا الكلام نحن لدينا مريض نريد أن نقدم له العلاج لا يعنينا من هو اسكتوا جميعاً! حتى وصلنا إلى العيادة في سجن الرملة، فسألني الأطباء لماذا لم تأخذ المدعمات والمحلول قلت لهم لا يمكن أخذ أي شيء والقيود في يدي ورجلي ما هو الخطر الذي يمكن أن أشكله وأنا لا أستطيع الحراك والتحرك والذهاب لقضاء حاجتي؟ وتم إعادتي للغرفة التي كنت أنا وبلال فيها بعد أن فارقتة لأيام، بعد مشادة ما بين بلال ومدير السجن وأحد ضباط الاستخبارات التابعين للسجن.

طفلتي لمار تدخل السجن معي

لمار ابنتي أيقونة حياتي، لم تغادرني لحظة، ولم تغادر عقلي ومخيلتي، كنت أشعر دائماً أنها معي تؤازرني في محتتي وسجني وتشد من أزرني، كنت في حالة هي أشبه بلحظات ما قبل الموت، جاءني أحد المحامين ليعرف سر الرسالة التي أرسلتها إلى ابنتي لمار، جاءني وهو يحمل في يديه نسخة من صحيفة هآرتس الصهيونية، وأشار إلى عنوان داخل الصحيفة، وهذا العنوان يحمل الكلمات الآتية: «الأسير الإداري نائر حلاحلة يرسل رسالة



إلى طفلة لمار»، سألني الطبيب الذي يشرف على حالتي كيف كتبها وأنت لا تقوى على الكلام؟ قلت له الحمد لله لا زال عقلي يعمل ومدرك لما يجري، فقام بقراءتها لي باللغة العبرية، ومما جاء في الرسالة: «حبيتي لمار، ارفعي رأسك دائماً وافتخري بوالدك، واشكري كل من وقف معي، وساند الأسرى في خطواتهم النضالية، ولا تخافي ولا تجزعي فالله دائماً معنا، والله لا يخذل المؤمنين والصابرين، فنحن أصحاب حق، والحق سوف ينتصر على الظالمين والمجرمين. حبيتي لمار سيأتي ذلك اليوم، وأعوضك عن كل شيء، وسأسر ذلك الحكاية كلها، وستكون أيامك القادمة أحلى وأجمل، فانطلقني في أيامك والبسي أجمل الثياب، واركضي ثم اركضي في حدائق عمرك المديد، إلى الأمام وإلى الأمام فليس وراءك إلا الوراء، وهذا صوتك أسمعته دائماً نشيداً للحياة». ولقد كان لهذه الرسالة أثرها الإنساني وزيادة التضامن من قبل كل الأحرار والمتضامنين معنا.

معركة بلال مع مسئول مصلحة السجون

(طافش) ضابط درزي رفيع المستوى وهو نائب قائد إدارة مصلحة سجون الاحتلال علماً أنه من أكثر الضباط حقداً وسوءاً وكرهية، ولا إنسانية لديه، وقد رضي لنفسه أن يكون في الصف المعادي لعروبه، وقد تناسى من هو كمال وسultan باشا الأطرش، والعديد من هذه الطائفة التي تعرف بانحيازها لقضايا الأمة، وهذا الضابط حضر برفقة مجموعة من ضباط وسجاني إدارة السجون إلى عيادة سجن الرملة وإلى الغرفة التي أتواجد فيها أنا والأسير بلال ذياب، دخل علينا ونحن في الغرفة ولم نعطِ انتباهاً له، بدأ بالحديث مع بلال ذياب ففرض الآخر إعطاء اسمه له أو يسند ظهره له،



فقال لي من أنت؟ ما اسمك؟ قلت له الأسير الإداري المضرب عن الطعام
ثائر حلاحلة، ليش أنت مضرب عن الطعام؟ لأنني معتقل على خلفية ما
يعرف بالملف السري، يعني أنت معتقل إداري؟ قلت: نعم، وأريد العودة
لأسرتي وطفلتي وبلدي؛ لأنه لا يوجد تهمة أو لائحة اتهام ضدي، فعاد
للحديث مع بلال فتصدى له بلال بنظراته وأشاح بوجهه عنه ولم يقبل
التسليم عليه، فقال لبلال بصوت عالٍ: أنت بتفكر حالك بدك تحرر
فلسطين بإضرابك هذا! أنت بلال بتضرب رأسك بالصخر، وأنصحك أن
تنهي إضرابك؛ لأنك لن تحقق شيئاً ولا قيمة لجوعك، وحفاظاً على صحتك
عليك وقف إضرابك أنت ومن معك، فرد عليه بلال بكل ثقة وبصوته
العالى: اقرأ ما هو مكتوب على الحائط باللغة العبرية والعربية (يا نصر يا
استشهاد). وبدأ طافش يضحك ويستفزنا، فقال له بلال أمام الضباط: راح
تشوف أننا سننتصر عليكم يا مجرمين يا كلاب! وكادت أن تحصل مشادة
كلامية وبالأيدي، فتدخل أمن الضباط محاولاً الاعتداء على بلال، فنهضت
من سريري واقفاً بينه وبين بلال محذراً إياه الاقتراب من الأخ بلال، وقلت
له: إنك سوف تدفع ثمنًا إذا قمت بالاعتداء عليه، وهو أيضًا ضابط درزي
من الذين يتعاملون بحقد ومخلصون لعدونا.

فخرجوا ومعهم الضابط طافش غاضبًا طالبًا من السجناء وضباط
السجن التضييق علينا، وبالتحديد التعامل مع بلال بطريقة غير مقبولة
وعدم إعطائه أي اهتمام، فبدأ بلال بالهتاف بأعلى صوته: الله أكبر الله
أكبر سوف أنتصر عليكم يا جناء يا ضعفاء، لولا أنكم ضعفاء لما كنتم
تضغطون علينا.



كم كان هذا الشهر الرائع مؤثراً فينا وفي جميع الأسرى المتواجدين معنا في الزنازين وغرف السجن.

لجنة قانونية صهيونية تلتقي بنا

طوال فترة الإضراب من اليوم الأول حتى الأخير كنا نلتقي بضباط مصلحة السجن وأطباء مختصين، وكانت هذه الزيارات للضغط علينا وكسر إضرابنا، ومنها لدراسة هذه الظاهرة المستجدة، ومنها لمعرفة كيف يمكن للأسير المضرب أن يستمر في إضرابه لأكثر من شهرين؟ وما هي عوامل صموده وإرادته وثباته؟ رغم أن هذا الأسير يرى جسده يخسر عضواً عضواً ويضعف ويهزل، وكذلك الصليب الأحمر الدولي ومنظمة أطباء لحقوق الإنسان «الإسرائيلية»، وفي أيام ما بعد الـ 50 من الإضراب جاء مدير السجن الدرزي (فيصل) وأبلغنا أن هناك لجنة قانونية سوف تجتمع معنا من داخل السجن ومن خارجه، كل واحد على حدة، رفض بلال الحديث مع مدير السجن وكذلك اللجنة، فجهزت نفسي للالتقاء بهذه اللجنة القادمة، فتم وضعي من قبل السجان على عربتي وسيارتي المتحركة، فتحرك السائق ومعه مرافق ممرض ومترجم، فكانت اللجنة تجلس في قاعة بالطابق الثالث المخصص لاجتماعات إدارة السجن، دخلت القاعة الواسعة وخلفهم صورة كبيرة لرئيس دولة الكيان وأحد مؤسسيها (مناحيم بيغن) وأمام طاولة مستديرة وكبيرة وخشبها بني محروق، بدأ المترجم العربي الذي يعمل كضابط وهو درزي عربي وقام بسؤالي بناءً على طلبهم بذكر اسمي، فقلت أنا الأسير الإداري المضرب عن الطعام ثائر عزيز حلاحلة من بلدة خاراس من محافظة الخليل المحتلة، وكان معهم



شيخ دين مسلم من قرى الداخل المحتل ويعمل في وزارة الأديان في الكيان الصهيوني كما هو إمام مسجد وخطيب وخريج جامعة الخليل من كلية الشريعة الإسلامية وثلاثة أطباء، وطبيب نفسي متخصص ومندوب من وزارة العدل ووزارة القضاء الصهيونية، وضابطان من استخبارات السجون، فقالوا ممكن أن تشرح لنا ليش أنت مضرب عن الطعام؟ فقلت لهم: أنا معتقل إداري دون تهمة أو ذنب أو عمل قمت به، ولم يقدم لائحة اتهام ولم أعرض على التحقيق ولا أعرف لماذا أنا في السجن لأكثر من 20 شهرًا، أريد أن أعود لطفلتي الوحيدة (لمار) التي تعني في اللغة العربية كل شيء جميل في الحياة، أو الذهب الجميل الذي يوضع على الصور. وقد جاءت للحياة ولم أكن معها، وملامح زوجتي عندما ولدتها فهي في هذا الظرف من يقف بجانبها؟ فقد منعت إدارة السجن من بداية الإضراب زيارة أهلي وزوجتي وطفلتي ووالدي المريضة بالسكر بالالتقاء بي أو زيارتهم أو الاتصال بهم، وهذا حق لي حسب القانون الصهيوني الذي لكم، حتى إنهم لم يسمحوا بصورة لطفلتي جاء بها الصليب الأحمر أن يعطوني إياها، وحاولوا مساومتي مقابل إدخال هذه الصورة، أنا إنسان مظلوم وأدفع ثمنًا من عمري في السجن دون تهمة أو عمل قمت به، فقط أنا موجود على تقارير غير دقيقة وكلها وهم وخيال وافتراءات وتوقعات وتخوفات ضباط الشاباك في المنطقة ومن يعمل معهم ويمدهم بالمعلومات.

بعد الانتهاء من الكلام وترجمة ما قلت لهم، سألوني هل تسمح لنا كلجنة قانونية بالتدخل لإنقاذ حياتك في حالة دخلت مرحلة الخطر؟ فقلت لهم: لن أسمح لكم وليس من حقكم، إن أردتم أن تنقذوا حياتي



أطلقوا سراحى من السجن، أنا مظلوم، فقالوا نحن نعمل حيث القانون الخاص بالمضربين عن الطعام فقد نضطر لاستخدام العنف معك لإنقاذ حياتك وإعطائك ما يلزم لإنقاذ حياتك، لن نسمح لك أن تموت، حياتك ليست ملكاً لك، وهنا جاء دور الشيخ المسلم فقال: لست قادماً من أجل إقناعك بفك إضرابك أو تعليقه، إنما أقول لك إن حياتك ليست رخيصة وهي هدية من الله، ولا تلقوا بأنفسكم إلى التهلكة، فقتل النفس حرام شرعاً، وأنت بهذه الطريقة تقتل نفسك وتعتدي عليها، أنصحك بالألا تقتل نفسك ولا تفعل شيئاً بنفسك، وكفى أن رسالتك وصلت لكل من هو معني، يكفي تعذيباً لأهلك ولزوجتك ولطفلتك الذين ينتظرون عودتك، فرددت على هذا الشيخ الملتحي: أنا أولاً لست ذاهباً للموت؛ لأن الشهيد في ديننا لا يموت بل هو يرزق، وليس هدفي قتل نفسي، فالإضراب هو الوسيلة الأخيرة للاحتجاج على هذا الظلم الواقع علي، وبعدها تم إعادتي لغرفتي وقد شرحت لبلال ما جرى معي مع اللجنة.

أحمد سعادات شاهد على الجريمة والمعاناة

كم هي جميلة الحياة إذا كنت تريد العيش فيها وكم هو رائع أن تحمل رسالة هادفة ونبيلة، والأجمل أن ترى مناضلاً وقائداً مع الجنود والمقاتلين في ساحات النضال والمقاومة والكفاح والمواجهة، قائداً لا يبحث عن الأضواء وتحقيق الذات، بل هذا القائد متقدم على القادة الآخرين والمقاتلين، هذا قمة الانتماء للوطن والقضية والإنسان، وفي ليلة حامية الوطيس مع إدارة عيادة الرملة حصل تطور مفاجئ على صحتي عندما حاول أحد المرضيين من سجاني (خوفيش) ودوره سجان وممرض،



وأصلاً كل من يعمل في أي جهاز أو مؤسسة صهيونية يجب أن يأخذ دورة إسعافات أولية، وليس لديهم شهادة علمية صادرة عن جامعة معترف بها، كان هذا الممرض (السجان، الحوفايش) يلبس بنطال إدارة مصلحة السجون (الأزرق الخافت اللون) والقميص الأبيض الخاص بالمرضى، ما هذا العجب والغرابة؟! طلب مني عينة من دمي حتى يتم فحصها، ثم وضع الإبرة في المكان الأول من الوريد ولم يعثر على الوريد، ثم انتقل للوريد المجاور ولم يفلح وأنا أتألم جداً ومكان الإبرة كالحفرة مع دم ينزل وأنا أضغط عليها بالشاش الأبيض، سألت الطبيب أنه لم يستطع إدخال الإبرة فقال له استخدم إبر الأطفال الصغار لأن الأوردة اختفت، فعلاً استخدم الإبر صغيرة الحجم وقد أفلح في أخذ عينة من الدم، عدت إلى غرفتي وأنا أتألم وأتوجع وبدأت الحرارة بالارتفاع، فصرخ عليهم الأخ بلال أن نأثر تعبنا، وهو أيضاً تعبنا ويتألم ويصرخ ويكبر وينادي يا مجرمين نأثر مات، ثم أخذوني وألقوني على أرضية العيادة كأنهم يرمون بجثة أو حيوان -أعزكم المولى- فسمعت أحد السجناء في العيادة يسب الذات الإلهية ويشتم محمد ﷺ، فانتفضت وأسمعته كلاماً جارحاً ومؤملاً، وهنا تدخل الرفيق المناضل أحمد سعادات (أبو غسان) أمين عام الجبهة الشعبية، الذي يقبع في زنزانه انفرادية مقابلة وهو في حالة عزل وقد دخل في الإضراب من العام 2012 بتاريخ 17 أبريل (نيسان) (إضراب الكرامة) رغم أنه مريض ويحمل حصته من الدواء وكبير في السن، ولكنه أكمل المشاركة ورفض إعفائه من المعركة، علماً بأنه نائب في المجلس التشريعي تم اختطافه من سجن أريحا والحكم عليه 30 عاماً.



تدخل الأخ أبو غسان محاولاً تهدئتي، فقال لي أخ: نأثر لا تبذل طاقتك معهم أنت في معركة صعبة وهم فرحون لانفعالك، وأنت سوف تنتصر.

كم كان لهذه الكلمات أثر ودعم ورفع لمعنوياتي وإصراري رغم الوضع الكارثي لي، والتراجع في الصحة والوزن، ولكن أعطاني شحنة أمل واعدة «فما النصر إلا صبر ساعة»، اصمد واصبر وسوف تزول هذه المحنة، لقد أقرب النصر، فالحرية لأبي غسان المناضل القائد والإنسان والعنوان والصمود.

أسرتي وسط المعركة

مما لا شك فيه أن الدعم الخارجي كان له الأثر الكبير في رفع الروح المعنوية، والمضي في الإضراب إلى الشوط الأخير دون ضعف أو تردد.

عناصر متعددة كانت تحمل همي، وتقف معي على كافة المستويات ويأتي على رأسهم والدي العزيز المناضل والمجاهد المعروف صاحب التجربة النضالية والجهادية الفذة، والذي أثبت ويثبت دائماً أنه الأب والصديق، فقد كان دائماً لسان حالنا عبر اعتصامه في لميادين ورفع صورنا، وأحاديثه المتكررة مع وسائل الإعلام المختلفة، فهو نعم الأب ونعم المناصر والمؤيد.

أما زوجتي، فالحديث عنها يطول، فهي لا تدخر جهداً ولا وقتاً ولها إسهاماتها الجهادية في دعم موقفنا ومؤازرتنا في معركتنا المصيرية، ونسجل هنا مقابلتها للرئيس أبو مازن برفقة أبي معبرة عن روح التضامن



لقضية الأسرى وخاصة لتجربتي في الإضراب عن الطعام، وستبقى زوجتي رفيقة دربي في حياتي الجهادية، فهي نعم الزوجة والرفيقة.

والدعم لم يتوقف وأنا أسمع عبر وسائل الإعلام الوقفة القوية من إخواني وأخواتي وأعمامي وعماتي، فجميعهم لم تنكسر لهم راية، ولم تلن لهم قناة، وهم يدافعون عن ثوابت الأسرى وحقوقهم، ولم يتركوا مكاناً ولا موقفاً إلا كانوا الصوت القوي، والإرادة الصلبة في الوقوف إلى جانبي في هذه المعركة، والتي كتب الله لي النصر فيها أنا وأخي بلال وهذا فضل من الله.

التواصل مع الأهل، وجه آخر لمعركة الإضراب

في الأيام الأولى للإضراب عن الطعام وأثناء تواجدي في سجن النقب الصحراوي في أقسام (6)، (7)، (8) كان هناك تواصل عبر الهواتف المهربة، وكوني بقيت لأكثر من 7 أيام في الغرف كان هناك فرصة للتواصل، فالسجان ومنذ اللحظة الأولى لدخولي للإضراب فرض علينا العديد من العقوبات، ومنها حقنا في زيارات المحامين والأهل أو الاتصال بهم، علماً بأن هذه الأجهزة المهربة التي نحصل عليها بطرق شتى ومتعددة ويصل ثمن الجهاز البسيط (بشار) 30 أو 40 ألف شيكل، وثنمه خارج الأسر 100 شيكل.

وعند الانتقال لسجن وعيادة ما تسمى مشفى الرملة كان التواصل جيداً من خلال الزيارات المكثفة للمحامين والصليب الأحمر عدا أيام الجمعة والسبت والأعياد الخاصة بهم، بالتحديد من بداية 1/4 «عيد



الفصح» لقد كان للإذاعات المحلية وتلفاز فلسطين الرسمي وقناة فلسطين اليوم دور كبير في إيصال رسالتنا وأحياناً نرى أهلنا وخيام ومسيرات الدعم والإسناد عبر الأخ الأسير الجنائي من فلسطين المحتلة 1948م أبو الحسن الإسي، كان يحرك لنا التلفاز من جهة لأخرى ومن مكان لآخر، وكذلك نتواصل عبر برنامج عن الأسرى كل يوم ثلاثاء وخميس يث عبر إذاعة أمواج، ولا ننسى راديو أجيال الذي كان من أكثر الإذاعات استماعاً ووضوحاً في سجن الرملة، وإذاعة الأسرى والقدس من قطاع غزة اللتين سخرتا كل جهودهما لنصرتنا وإضرابنا الإنساني، وكنت أسمع صوت طفلي لمار وهي تقول بابا ثائر بحبك، كم كان لهذه الكلمات الأثر وكذلك لصوت والدتي وزوجتي وعماتي وكن يمدني وأخي بلال بالعزيمة والإرادة، ويقلن سنبقى معك ولن نتركك حتى الحرية والنصر والعودة إلينا متصراً.

لحظات انتهاء المعركة والإضراب

لم تكن لحظات ومحطات ودقائق وثواني وساعات وأيام الإضراب المفتوح عن الطعام معركة سهلة بكل أبعادها، وهذه المعركة معركة الإرادة الإنسانية الباحثة عن الحياة الكريمة والعزة والكرامة، ما بين الأجساد النحيلة التي لا تحمل سلاحاً ولا قبلة، إنها تحمل قلباً محباً للحياة والأمل والطبيعة، مقاوماً لجلاد سجان محتل مستعمر، سخر كل إمكانياته وأساليبه ومخططاته لكسرننا وتخويفنا وتحطيمنا وهزيمتنا، والتضييق علينا ومحاصرنا ومنع اتصالنا بالعالم والمؤسسات الحقوقية والأطباء، ولم تكن هذه الجولة أو المعركة أو المواجهة السلمية المتواضعة -أجساد مقابل كيان يملك ترسانة



عسكرية وبحرية وجوية وتكنولوجية_ لم تكن في رحلة سفر أو نزهة أو على ضفاف نهر أو بحر، أو بين الأشجار أو التلال، أو على قمة جبال الشيخ وشلالاته أو جبال الكرمل وبيارات حيفا ويافا، إنما رحلة البحث عن الحياة، كانت معركة قاسية وصعبة، كنا ذاهبين للحياة ولكن الموت يلاحقنا، لا نخشى الموت ونحب الحياة ونعشق الشهادة، فكان الهدف من البداية نصرًا أو شهادة تليق بنا وشعبنا وأحرار العالم، البداية لم تكن سهلة وكذلك النهاية، كان مذاقها صعبًا، ولكنه جميل مجهول محمول بوعد المستقبل، فكان الفرق ما بين يوم 28 فبراير (شباط) 2012م وما بين يوم 15 مايو (أيار) 2012م، وما بين 5 يونيو (حزيران) 2012م، التاريخ من اليوم الأول يوم (انطلاقي نحو الهدف) والتاريخ الثاني (يوم تحقيق الهدف والرسالة) والتاريخ الثالث (يوم قطاف الثمار والانتصار) من هذه المعركة الإنسانية والعادلة والمحقة.

في البداية كان المصير يبدو مجهولًا، وفي النهاية اتضح المصير، وأخيرًا وصلنا الطريق والهدف والسبيل والمصير.

لم تكن ليلة الخامس عشر من مايو (أيار) 2012م ليلة عادية في حياتي وحياة أخي بلال، بل كان تاريخًا يذكّرنا بالوجع، تاريخ سرقة واغتصاب وطننا وأرضنا، تاريخ نكبة فلسطين وقيام الكيان الصهيوني، دولة الإرهاب والتهجير والقتل والهدم وتشيتت شعب بأكمله، تاريخ راسخ في الذاكرة الفلسطينية والعربية والإسلامية، ولن يتغير هذا التاريخ إلا بحريرتنا وعودة فلسطين لأهلها وأن يعودوا أحرارًا يعيشون بكرامة كباقي شعوب الدنيا، كما لم تكن الـ 78 يومًا من أيام



وسنوات عمري وحياتي كمثل التي مضت، اليوم الأول والثاني والثالث والرابع وحتى 78، أيام عشت فيها الموت بحقه.

حاولت الانتصار على الموت، ولكن إرادة الله تقرر والأعمار بيد المولى ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْذِنُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف: 34]، كان يوم 15 مايو (أيار) 2012م هو الذكرى الـ 66 على سرقة أحلام وتراث وحضارة شعب كامل، وقد كانت مفاوضات الإضراب (إضراب الكرامة) تدور ما بين الأسرى وممثليهم وإدارة سجون الاحتلال، هذا الإضراب الذي انطلق في 17 أبريل (نيسان) 2012م على وشك الانتهاء والوصول للاتفاق وإنصاف الأسرى المضربين وذويهم ومحبيهم، وقد كان لهم يوم 15 مايو (أيار) 2012م 29 يوماً قاسية وصعبة كما وصف أحد القادة الإضراب الأسير جمعة التايه وكذلك الأسير جمال الهور، كانت الساعات الأخيرة ساعات العُض على الأصابع ونحن كذلك ساعات من يصمد ويثبت بالمعركة، المواجهات والعراك في الميدان يتوسع على طول وعرض الوطن، وأجهزة العدو وإدارة السجن تبذل جهوداً لمنع استمرار هذا الإضراب لما بعد 15 مايو (أيار) 2012م لاعتبارات سياسية وأمنية، ومنع تفجر الشارع والأوضاع حيث أجرت سلطات الاحتلال والسجون اتصالات دولية وعربية ومصرية لوقف الإضراب دون ثمن، ولكنها لم تنجح، وضغطت على السلطة للضغط على الأسرى وعلى ممثليهم للموافقة على وقف الإضراب وبعدها نتفاوض فرفض الأسرى، تخشى دولة الاحتلال من انتفاضة قادمة عنوانها الأسرى وإضرابهم وجوعهم، لما للأسرى من حضور في وجدان وقلوب شعبنا، وبالفعل تم إحضار قادة الإضراب من الأسرى المضربين



إلى سجن عسقلان في جنوب فلسطين المحتلة، ودخل على خط المفاوضات فصائل المقاومة المسلحة في غزة والمصريون والسلطة في رام الله، فطلبت إدارة السجون عبرها التوقيع على (خطاب التعهد) الذي صاغه الشاباك، والذي حضر ممثلون عنه، فرفض قادة الإضراب هذا الخطاب أو التوقيع عليه، وبعد نقاش تم الاتفاق والموافقة على مطالب الأسرى الكبرى ومنها إخراج الأسرى محمود العارضة وعبد الله البرغوثي وعاهد أبو غلطة الذي وصف مشهده خروجه من العزل (العودة للحياة) وغيرهم، والسماح لأسرى غزة المتنوعين والمحرومين من زيارات أهاليهم وأطفالهم منذ سنوات وغيرها من المطالب، ولكن أمام إصرار قيادات الإضراب أن يشمل التوقيع مصير الأسرى الإداريين الستة المضربين، وعلى رأسهم الأسيران تائر حلاحلة وبلال ذياب والإخوة حسن الصفدي وعمر أبو شلال ومحمود السرسك (المقاتل غير الشرعي) وأكرم الرينخاوي، وسامر البرق، وجعفر عز الدين، وفعلاً استجابت إدارة السجون ومعها الشاباك الصهيوني أن يشمل الاتفاق هؤلاء الأسرى الإداريين حيث تمكن رئيس وقائد المضربين الأخ المحكوم بالمؤبد جمال الهور من التواصل مع قيادة المقاومة في غزة (حماس والجهاد) ومع المخابرات المصرية (اللواء جمال ممثل المخابرات المصرية في الملف الفلسطيني) ومع وزير الأسرى عيسى قراقع ومع رئيس نادي الأسير وأطلعهم على ما جرى قبل التوقيع، وكذلك التواصل مع اللجان في السجون ومع المضربين عن الطعام، وموضوع الإداريين وأن يشمل الاتفاق هؤلاء الأسرى فتم الاتفاق ليلة 15 مايو (أبريل) 2012م على البنود التي ذكرتها بالإضافة إلى بند الأسرى الإداريين المضربين، ولكن



قبل فك الإضراب والإعلان عن الاتفاق أمر قادة الإضراب الالتقاء بنا فجاء إلينا الأخ جمال الهور والأخ جمعة التايه الشيخ والقيادي البارز وبسام السعدي الذي تحرر بعد الإضراب وتم مطاردته لمدة 5 أعوام ويتم اعتقاله قبل أيام في شهر مارس (آذار) 2018م في كمين قوات خاصة.

لقد كان الشيخ المضرب عن الطعام بسام السعدي رغم سنه وعمره ومرضه ومعهم المحامي جواد بولص الذي كان معنا من البداية حتى النهاية والمتابع لقضيتنا مع إدارة واستخبارات ومخابرات السجون للوصول لاتفاق منصف وبحجم جوعنا وقهرنا، وكذلك أضيف شرط على الخطاب (خطاب التعهد) عدم تجديد الاعتقال الإداري لنا إلا إذا وردت معلومات خطيرة واضحة ودقيقة تثبت خطورتنا، فتم الموافقة على هذا الشرط الذي التزم الشاباك به.

التقوا في البداية بالأمين العام للجبهة الشعبية المضرب الأسير أحمد سعادات، وتم إخباره عما جرى من مفاوضات، وقد بارك الاتفاق وصبر وتضحية الأسرى وصمودهم، وأفاد إلينا الشيخ الأسير جمعة التايه _ممثل الجهاد في قيادة الإضراب_ أنهم بعد أن انتهوا من الالتقاء بالأخ أحمد سعادات عدنا مع التايه والهور والسعدي واثنين لا أذكر أسماءهما للطابق العلوي من قسم سجن وعيادة الرملة حيث كانت الأجساد المنهكة وعلى كراسي الموت المتحركة تنتظر بهدف إخبارها بأن هناك لقاء لكم من قبل المحامي جواد بولص ومثلي وقادة الإضراب العام حيث كانوا في قاعة كبيرة كما يصف المشهد جمعة التايه، كانت لحظات حزينة ومبكية لنا جميعاً، يقول الأسير جمعة التايه: «لم نصدق



أن نعثر عليكم أو نجدكم أحياء ترزقون، ولكن بحمد الله كتتم أحياء رغم مناظر وجوهكم كأنكم كتتم في كهوف، شكلكم وشعركم الطويل وملابسكم الرثة وأجسادكم الهزيلة، ولكنها تشع نوراً وأملاً وانتصاراً رغم المدة الطويلة»، وهنا انتهى حديث الأخ الأسير جمعة التايه الذي أمضى أكثر من 23 عاماً بالأسر على فترتين، وأبناؤه أصبحوا شباباً مميزين ومتفوقين. تحدث في البداية الأخ والإنسان المحامي جواد بولص حيث كان حديثنا إنسانياً عاطفياً مؤثراً جداً وأمام إدارة وضباط مصلحة السجون والمستشار أو ما يسمى المستشار القضائي لإدارة السجون ومسؤول الاستخبارات وعلى رأسهم المدعو «آفي بيتون»، وهنا تحدث الأخ الأسير جمال الهور المعتقل منذ أكثر من 20 عاماً: «إنني لن أتحرك من هنا قبل الانتهاء من معاناتكم، ولن نسمح لكم أن تموتوا ونحن واقفون، الاتفاق يشملكم وشرح الاتفاق». ويصف الأخ الأسير جمعة التايه في التقرير الذي قدمه للهيئة العليا لأسرى الجهاد الإسلامي: «في البداية رفض الأسرى الإداريون تعليق أو فك إضرابهم، وجميعهم تحدثوا في القاعة عن نيتهم في استمرار الإضراب، فكانوا متخوفين من عدم التزام إدارة السجون ومعها الشاباك بالاتفاق أو (خطاب التعهد) وقد كنا معهم لوحدهم بالقاعة وقد خرجت إدارة السجون من القاعة وتركونا لوحدهم»، يقول ويصف الأخ الأسير جمعة التايه: «كان الإخوة كلهم مترددين في القبول بفك الإضراب وبحجة لمن يدق ويقرع الجرس ويملك الجرأة والشجاعة فكلهم شجعان، ولكن الأمر لديهم ليس سهلاً أن يخرجوا من الإضراب دون نتيجة، فعلاً تقدم الأخ الأسير المضرب ثائر حلاحلة الذي بدأ يتكلم: «أنا موافق على هذا الاتفاق ولكن أريد التواصل مع



أهلي، والدي ووالدتي للمشاورة فهم جزء أصيل من المعركة»، ليكمل الأسير جمعة «تكلم الأسير نائر حلاحلة مع زوجته أم الخطاب ومع أخيه ومع أمه ومع والده ووافقوا بعدما أخبرهم بكل ما جرى وتفصيل الاتفاق، فكان ذلك أمام قيادة الإضراب وأمام الرفيق أحمد سعادت وأمام إدارة وضباط مصلحة السجون في عيادة سجن الرملة، ومن ثم محمد وجعفر والسر سك والصفدي وأبو شلال» يصف الأسير القائد جمعة التايه هذه اللحظات من الاتصال والتواصل مع الأهل: «كانت صعبة ومؤثرة في الجميع وخاصة عندما تحدث الأسير المضرب لأكثر من 78 يومًا نائر حلاحلة، لا يمكن أن أمنع دموعي فبكيت عندما قال نائر لزوجته أم خطاب أنا نائر زوجك وهنا صرخت نائر رجاء لا تمت، فبدأت من حولها الزغاريد والهتافات والتكبير والتهليل»، وبعدها تحدثت مع والدي فقال لي: «هؤلاء يهود وإياك أن تؤمن لهم»، وقد سمع الكلام ممثلي وقادة الإضراب ونحن الأسرى بلال وحسن وعمر وضباط السجن، فقلت للوالد: «اليهود يسمعونك». فقال: «لا أخاف فليسمعوا»، وبعدها تحدث بلال أولاً مع أمه التي توفيت فيما بعد في عام 2013م وهي أم مناضلة وصابرة وحكيمة، فسجد الأخ بلال شكرًا لله، وبعدها تحدث مع أخيه بسام الأسير المحرر والذي تم اعتقاله مجددًا.

الاتصال بالأهل في الذاكرة ولن ينسى

لقد عدت مرة أخرى للاتصال الذي جرى مع الأهل خاصة بعد الحديث الإنساني والمؤثر من المحامي جواد الذي هو أصلًا يكتب بالأدب الإنساني والأسير جمعة التايه أيضًا يكتب في السيرة والأدب والفقه



والسياسة، وكذلك حديث الأسير جمال الهور_ رغم أنه عسكري إلا أنه إنسان في النهاية_ تحدث كونه إنساناً ولديه أبناء وله مشاعر وأحاسيس وعواطف، وكذلك حديث أحمد سعدات معنا لحظة ما قبل الاتصال مع الأهل حيث تم إخراجهم من الزنزانة الانفرادية، وقد كان واقفاً على الباب الذي يفصل العيادة عن الممر الذي يمر أمام زنزانة رفيق سعدات، وهنا أتذكر كلام والدتي التي صرخت على مسمع الجميع: «الله يحميك يا ابني لقد انتصرت ورسالتك وصلت لكل الناس»، قالت لإدارة السجن وضباط الاستخبارات وأمام الجميع: «إن عدتم عدنا» فطلبوا منا بعد المكالمة أن نتناول كأساً من الشوربة فرفضت حتى انتهاء الأسير بلال من مكالمته فقلت: «دخلنا معاً ومنتصر معاً ونشرب الشوربة معاً»، فكانت الكأس التي شربنا منها معاً، وتعانقنا أمامهم.

حديث القائد الأسير أحمد سعدات معنا لحظة فك الإضراب

لحظة حديث الأخ بلال مع أخيه بسام ذياب كادت أن تنفجر الأمور وتعود للمربع الأول والاستمرار بالإضراب حيث كانت مكالمة حادة وقوية، ثم عاد للاتصال مرة أخرى بعد أن أغلق الهاتف ورفض فك إضرابه، فنادى علينا الرفيق سعدات أبو غسان أنكم انتصرتم وتستحقون الاحترام والتقدير، أعادها أكثر من مرة أمام الجميع، أتم عنوان من عناوين شعبكم، هنيئاً لكم الانتصار، تمت إعادتنا للغرف التي كنا فيها على الكراسي المتحركة وهناك كان مشهد آخر.

ليلة مشهودة مع التايه والسعدي والهور بعد فك الإضراب

بعد الاتصال الإنساني والرائع والمؤثر وعودة الحياة في الروح



لعالم الانتعاش والأمل وكأس الشوربة التي كانت بمثابة إعادة التنفس لنا؛ تحركت الدماء في عروقنا التي جفت نتيجة هذه المعاناة، عدنا إلى غرفة جوعنا والشاهد على جرم السجانين وظلم وكراهية هذه الدولة التي أقيمت على أنقاض شعب يمتلك من الفكر والتراث والتاريخ والحضارة الممتدة لأكثر من 4000 عام، رفض الأخ الأسير الإداري حسن صفدي تعليق وفك إضرابه لعدم وجود تعهد خطي ينهي اعتقاله الإداري، والحجة عند الشاباك أنه خطير وعليه معلومات خطيرة وهذا حق له ونحترمه ونقدّره، وقدّرنا موقفه وإصراره لضمان الإفراج عنه؛ لأنهم لا عهد ولا ميثاق معهم، رغم التعهد اللفظي لكبير ضباط استخبارات السجون المدعو «بيتون» له بعدم التجديد له بعد انتهاء اعتقاله وتمديده الإداري الذي كان فيه، رفض الأخ حسن الصفدي فاستمر بالإضراب حتى حصل على ما يريد بعدم التجديد له، كانت ليلة رائعة وهنا تذكرت قريش وما عملت بعمار وسمية وآل ياسر والبقية من الذين التحقوا بمحمد ﷺ، فجاء الخليفة الراشد الصديق أبو بكر الصديق ﷺ وأنقذ وحرر من حرر، فكأننا نحن الذين تم تحريرنا وإعادة الأمل والحياة لنا ولعوائلنا، كانت الغرفة مزدحمة بالأسرى الخارجين من عتمة إضرابهم إلى ثورة الحرية، فكان الأسير مصعب الخطيب المحكوم بعشرات المؤبدات وكذلك الشيخ بسام السعدي والد الشهيدان إبراهيم وعبد الكريم وأمه شهيدة وزوجته كانت أسيرة وأبناءؤه بعضهم تحرر وبعضهم لازال بالأسر وإخوانه أبو الراغب أسير، والعائلة كلها في النضال والثورة والمقاومة من فرحان السعدي رفيق درب الشهيد عز



الدين القسام إلى محمود طوالة وزياد العامر وأبو جندل في خيم جنين الإباء والتضحية، الشيخ بسام السعدي أبو إبراهيم هو الأب الكبير لنا والحدوي الذي يحب الجميع دائماً يردد عبارة (حبيبي) بصيغة الجميع (يا حباب)، وهنا يصف الإنسان الأسير جمعة التايه مرة أخرى كيف شاهدوا الأسير الرفيق عاهد أبو غلمة الذي له الدور مع سعدات في قتل الإرهابي المتطرف صاحب فكرة الترحيل لشعبنا (ترانسفير) الوزير الصهيوني (رحبعام زئيفي) في عملية 17 أكتوبر، الرد على اغتيال الأمين العام الرفيق المناضل أبو علي مصطفى (مصطفى الزبيري) ابن بلدة عرابة بمحافظة جنين الذي قال يوماً عندما عاد إلى فلسطين: «عدنا لنقاوم لا لنساوم». يقول الأسير جمعة التايه عن الأسير عاهد أبو غلمة: «إنني لم أصدق أن أشاهد أحداً، وها أنا أعود للحياة لقد كنت ميتاً»، وتحدثنا عما سنعمل بعد الإفراج عنه، وتحدث الأخ الهور عن الأسير البطل عبد الله البرغوثي صاحب أكبر حكم في تاريخ الحركة الوطنية الأسيرة 67 مؤبداً كيف وجده في قبره أقصد زنزانتة بين الحياة والموت، ولكنه عندما ذهب إليه مع كوب من الحليب حتى يعلق إضرابه ويتحقق الانتصار المدوي لحظات وساعات كانت جميلة حتى الصباح.

المنتصرون حلاحلة وذياب وعز الدين بعد الانتصار

إن الحديث مع بلال كأخ أو صديق أو صاحب أو رفيق درب؛ لا يمكن أن أصف لكم مشاعري تجاه هذا الرجل الهام والعنيد ولا أبالغ بذلك، عرفته صلباً لا يعرف الانحناء أمام عدوه وسجانه في هذه المعركة وكل المعارك، وفيّاً لإخوانه الأسرى ورفقاء دربه من الشهداء الذين عاش



معهم ويعرفهم، إياد الحردان وإياد الصوالحة ولؤي السعدي، وكذلك شيخنا وإمامنا في الإضراب الذي لم يجلس طوال 50 يومًا من الإضراب في صلابته لقد كان أكبر منا في العمر إلا أنه بقي يصلي واقفًا. جلسنا كلنا معًا وكان الفرح يملأ قلوبنا، وهو يتجهز للنقل لسجن مجدو والالتقاء بابن شقيقته، وقد سمح لنا بالشراء واقتناء ما يلزم من كتين السجن ورفع العقوبات عنا، كانت لحظات رائعة لا توصف في بعض كلمات، ولكن ما أجمل النصر بعد هذا الجهد والتعب والإصرار والتحدي والإرادة!

الأخوان «الروحان في جسد واحد» بلال وثائر

صرخ بلال بن نبيل بن ذياب، ابن بلدة كفر راعي وشقيق الأسرى والمحررين وشقيق الأسير المحكوم بالمؤبد عزام ذياب: لقد انتصرنا عليكم الله أكبر والنصر لنا!

76

فقد سمع ذلك الكلام ضباط الاستخبارات وخاصة (أمل كيوف) الذي كان يراهن على كسرنا وتخطيمنا، فقال لهم: أتمنى ألا تجربونا على دخول معركة الإضراب مرة أخرى وأقول لكم: إن (عدتم عدنا) لا تحاولوا اختبارنا مرة أخرى، لقد ضغطتم علينا وضيقتم علينا وحرمتونا من زيارات الأهل ومن زيارة المحامين، ولكننا الحمد لله صبرنا وتحملنا وحققنا المراد والانتصار.

فقام أمام الضباط والسجانين بمعانقتي وقد قبلت رأسه وقبل رأسي، لقد امتزجت روحي بروح بلال، كان يحزن لحزني ويتعب لتعبي ويتألم لألمي وجوعي، لقد تعاهدنا على الثبات والنصر والشهادة فقام برفع



ييدي مع يده وهو يهتف: الله أكبر الله أكبر مدويًا في الأقسام.

اللقاء مع الوالدة والزوجة ولما بعد فك الإضراب في سجن الرملة

بعد الاتفاق الذي تم بيننا وبين ممثلي وقادة الإضراب العام وإدارة سجون الاحتلال تم رفع كافة ما تم فرضه علينا من عقوبات وغرامات، وتم السماح لعوائلنا وزوجاتنا بتصريح زيارة خاصة بناءً على الاتفاق الذي أبرم، جاءت الوالدة والزوجة ولما وأختي التي تم منعها، هذه الأخت بح صوتها وهي تهتف وتهتف «يا ثائر يا أسير، حنا معك للتحرير» و«يا ثائر سير سير وحنا معك للتحرير» و«يا ثائر ويا بلال الله معكم كان»، وأختي أم العبد التي تسكن رام الله وهي تصرخ في ميدان المنارة وعلى دوائر الأسوار تحياتنا عالية للأمعاء الخاوية، جاءوا لزيارتي للغرفة المخصصة لزيارة الأهل والمحامين، عندها جاء المحامي جواد بولص وبكى عندما شاهدنا أنا وبلال وسقط بلال أرضاً، وها هي أمي التي أضربت معي تأتي لزيارتي مهنئة بالانتصار، كانت لحظات مؤثرة جداً أمام السجانين وعوائل الأسرى الذين كان موعد زيارتهم، وأذكر هنا الأسير المريض بالسرطان والصديق الحر الأبى معتصم رداد الذي يموت وجعاً نتيجة الإهمال الطبي المتعمد المجاهد ابن بلدة عرين الجهاد والمقاومة قضاء طولكرم ومعه الأم الحنونة الصابرة آمنة رداد، دخلت والدتي وهي تزغرد وتبكي ومعها الحضور يبكون ويصرخون، وزوجتي لم تصدق أنني فعلاً حيٌّ أرزق، وطبعاً لازلت أتنقل على الكراسي المتحركة، وجاء دور دخول لما عندي ورفضت وبدأت تبكي وتصرخ، ولكنها دخلت واحتضنتها أمام السجانين، كل الإضراب عشان أحتضنك وهي تبكي فتم إخراجها،



لحظات سعادة وأمل وانتصار، هذا المحتل الذي يفصلنا عن أطفالنا وعن أهلنا وأبنائنا وأمهاتنا والغوالي ووطننا الحبيب وقدسنا الحزينة.

الجوع كافر ولكنه يكسر القيد

كان الخليفة العادل الراشد الثاني نشر العدل والحق والمساواة والذي أعلن إسلامه جهراً، فوضع ديوان الجند وحارب الفقر والتميز سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: «والله لو أعلم أن الفقر رجلاً لقتلته»، كان يقصد أن ينصف الناس ويعطيهم حقهم في العيش والحياة والمشاركة والحصول على العمل والمأكل والمشرب.

78

كلنا يعرف ويعلم عندما انتشر الجوع والفقر مما دفعه لوقف حد السرقة لمحاربة المجاعة وتوفير اللازم وذلك في عام الرمادة، كلنا يذكر ويكرر مقولة أو حكمة «الجوع كافر»، ونحن في إضرابنا الإنساني هدفنا منه إيصال رسالة للمحتل والعالم ولكل الأحرار والدنيا أننا نحب الحرية والحياة ونحرص عليها «ولا تنس نصيبك من الدنيا»، وأطلقنا شعاراً في هذا الإضراب وأصبح يتداول به «الجوع كافر ولكنه يكسر القيد»، فعلاً كسر جوعنا إرهاب وظلم السجن، جوعنا أعلن رفضه لهذا الظلم المتلاحق لنا ولكثير من أبناء شعبنا الذي يقدم ولا يزال يحلم بيوم الحرية والعيش كباقي شعوب الدنيا.

وقفات قبل الإفراج عني من عيادة الرملة

بعد انتهاء جولات المواجهة المستمرة مع السجن وحصولنا على



مطالبنا المتواضعة، وبعد عودة جميع الأسرى المضربين في الإضراب العام والأسرى الإداريين إلى سجونهم التي جاءوا منها؛ بقيت حتى الإفراج عني ليوم 5 يوليو (تموز) 2012م، وكان معي الأخ بلال ذياب الذي انتقل بعد الإفراج عني عند شقيقه المحكوم بالمؤبد عزام ذياب كشرط من شروط إنهاء الإضراب والاتفاق مع إدارة سجون الاحتلال حيث بقيت من 15 مايو (أيار) 2012م حتى يوم الإفراج أتعالج وتم وضع برنامج غذائي لي ولبلال بسبب أوضاعنا الأكثر صعوبة وتدهور، فقبل الإفراج عني بعدة أيام تم تحويلي للاستجواب في سجن عوفر العسكري، بالتحديد لدى ضباط مخبرات الاحتلال هناك، تم إبلاغي في الصباح بالأمر وتم تجهيزي وتسليمي وتفتيشي وإعطائي لوحدة المعاملة السيئة (وحدة النخشون) التي لا أخلاق يعملون بها، تم تقييدي من اليدين والرجلين رغم أن وضعي لا زال هشاً متعباً، ذهبت ومن حولي حراس يضحكون ويشتمون ويلعنون ويطلقون العبارات البذيئة حتى وصلنا إلى البوسطة، كلما شاهدها أو ركبها تذكرت الموت والعذاب، هذه سيارات الجنازة لا تصلح إلا بيتاً للكلاب.

كنت متعباً جداً أتقيأ دماً، ورائحتها النتنة والمقرفة (رائحة البوسطة تشبه رائحة المراجعة من الفم) وقريبة من البول هكذا رائحة دولة الظلم والإرهاب، مقاعدها الحديدية تأكل اللحم باردة جداً ولا يسمح لك بوضع أي شيء تحتك لمنع هذه البرودة القاسية، طبعاً الخروج من العيادة فجراً كأنك ذاهب لورشة العمل والبناء، وكأنك ذاهب لقطف الثمار وزراعة الأرض، ولكن شتان ما بين الاستيقاظ لشم رائحة الوطن وتراب الأرض وما بين روائح البوسطة وأشكال وهيئات ضباط وأفراد وحدة



النخشون، شتان ما بين الثرى والثريا، فبعد أن تم إعادة التفتيش من النخشون أكثر من مرة حتى يطمئنوا أنني مقيد 100٪ وضعت فيها من الساعة الخامسة والنصف صباحاً حتى الثامنة ونحن نتظر تجميع الأسرى من كافة أقسام سجن الرملة الذاهبين لكافة السجون أو أقسام التحقيق أو النقل أو المحاكم في عوفر وسالم وغيرها، تحركت ورافقها سيارة مخصصة للكلاب وسيارة حراسات وسيارة أو دراجة هوائية من أمامنا وأخرى من خلفنا، حتى مررنا وسط مدينة الرملة المحتلة التي تشكو احتلالها وظلمها حتى شارفنا ضواحي وأراضي محافظة رام الله والطريق المؤدي نحو القدس الغالية وشوارعها ومعالمها وأسائها، (لكن الأرض تتكلم عربي) وصلت إلى مكان الاستجواب والتحقيق.

بعد انتظار أكثر من ساعتين تم المناداة على اسمي وتم أخذي، للأسف تمّ جري وسحبي من قبل أحد السجانين من القيود في يدي حتى وصلت، وتم تفتيشي وإدخالني للاستجواب فبدأت الأسئلة، هناك معلومات عنك أنك كنت نشيطاً وقت الإضراب، عجيب ولك اتصالات من جماعات معادية وعسكرية وتنظيمية أثناء الإضراب كما يدعي، وقائمة طويلة من المعلومات والشبهات، وتم تهديدي بتجديد اعتقالني إدارياً، وهنا قلت له: «إن عدتم عدنا» أتمنى ألا يتم اختباري مرة أخرى. وبعد العودة من التحقيق كان السائق يقود بطريقة جنونية وسرعة فائقة فقام السائق بالتعمد بضرب والضغط على الكوابح فإذا برأسي يضرب في الواجهة الحديدية وبدأت أتقيأ وأنفي ينزف دمًا دون مراعاة لإنسانيتنا؛ لأنهم يتعاملون معنا كحيوانات وليس بشرًا، ما دمت أنت فلسطيني وأسير



فأنت مجرم ويجب أن تقتل لا حق لك بالحياة والعيش ومكانك القبر.

وأخيرًا جاء الفرج والحرية والإفراج

جاء ضابط الأمن والاستخبارات صباح يوم الإفراج عني في 5 يونيو (حزيران) 2012م وقال لي: عليك بتجهيز نفسك أنت مفرج عنك.

وبعدها كان يتحدث عبر الهاتف ويقول فليتم وضعه على حاجز بيت سيرا القريب من مدينة رام الله المحتلة، ثم قال له لا على حاجز ترقوميا القريب من مدينة الخليل المحتلة، فكان والذي بعدها يتحدث عبر الإعلام وفي مقابلة إذاعة راديو أجيال التي تبث من رام الله يقول: تم إبلاغنا من الصليب الأحمر أن ابني ثائر سوف يفرج عنه اليوم على حاجز بيت سيرا، ونحن متواجدون هناك، وقد كان في الغرفة المقابلة لي الأخ والأسير من فلسطين المحتلة أعطيته رقم الوالد وأبلغه أن الإدارة أبلغت ثائر بأن الإفراج على حاجز ترقوميا، فلم يقتنع والذي وشك بالأمر فذهب ومعه والدتي وزوجتي وطفلتي لمار ومعهم عدد من أقربائي وعائلتي إلى حاجز بيت سيرا، وانطلقت السيارات من خaras إلى حلحول إلى بيت لحم إلى طريق وادي النار إلى رام الله ثم إلى بلدة بيت سيرا، وكان هناك شيخنا المبعد سابقاً إلى مرج الزهور المرابي أبو جهاد أبو صفية وقد قدم لهم الاحترام والتقدير، والفريق الثاني إخواني وأخواتي وأعمامي وأبناء عائلتي وكافة أبناء بلدي في خaras وفصائلها ومؤسسات الخليل ومعهم موكب من السيارات وسيارة الإسعاف إلى حاجز ترقوميا، فقبل الخروج



جاء الصليب الأحمر لزيارتي أنا وبلال وكأنها الزيارة الأخيرة لنا وأبلغتهم أن يتم إبلاغ والدي أن إدارة السجون سوف تقوم بالإفراج عني عند حاجز ترقوميا، وبعد إجراءات الفحص وإعطائي الأوراق وورقة الإفراج والأمانات والأغراض الشخصية انطلقت سيارة الإسعاف مع سيارة من نوع فورд صغيرة مع حراسة نحو الحاجز قرب ترقوميا، وقبل الخروج كان الوداع والأحضان ما بيني وبين الأخ بلال الذي سوف يطلق سراحه في شهر أغسطس (آب) 2018م حسب الاتفاق، وهنا تذكرت لحظة خروج الشيخ خضر عدنان من نفس السجن والعيادة في الرملة في 17 أبريل (نيسان) 2012م، وقد كنا مضربين وهو ينادي علينا ويودعنا ونقول له مع السلامة شيخ، الله معكم مبارك الانتصار، وها هو اليوم يتكرر معي.

لحظة الخروج من قسم وعيادة وسجن الرملة

كانت لحظات لا توصف ومختلطة بالمشاعر والأحاسيس بين الأخوة والمعاناة والألم والجوع والعذاب، لقد سلمت على الأخ بلال أكثر من مرة وكأني تركت جزءاً مني وأنا أبكي وهم يأخذونني من الغرفة بالقوة حتى وصلت إلى السيارة المخصصة لنقلي للحاجز، وقبل صعودي في السيارة بدأ الأخ بلال يكبر ويهتف من النوافذ في الطابق الثاني من عيادة سجن الرملة ويوصيني أن أسلم على شعبنا وأهلي ولمار التي يجيها جداً، خرجت سيارة الإسعاف ومن معها من السيارات نحو الحاجز وأنا أعد المسافات والدقائق ولحظات اللقاء عن تعلق قلبي ومن لم ييخل معي ومن ساندني في هذه المعركة التي هي معركة لكل المظلومين حتى وصلنا إلى الحاجز فجاء ضابط يلبس بدلة عسكرية (للجيش الصهيوني) نزل من سيارة من نوع (تويوتا)



ويحمل رشاشاً فجاء إلى باب السيارة فسألني من أنت؟ أجبت أنه الأسير
ثائر حلاحلة، قال لي أهلك ينتظرونك خلف الحاجز وأنا أحذرك إذا حصل
احتفال هنا أو فوضى فسوف يتم إعادة اعتقالك، وأثناء حديثه معي لمحت
من بين نوافذ السيارة أخي الصغير محمد فقلت له: محمد أنا ثائر، فرجع إلى
الناس وأخبرهم أنني موجود في السيارة، وبعدها نزلت من السيارة، وهنا
كانت الدموع قبل احتضان أحد منهم، وكان من الأوائل الذين احتضنتهم
الوالد والأخ والعم المناضل الأسير المحرر حمادة حلاحلة الذي كان من
أوائل الثوار الذين تم اعتقالهم في بداية الثورة والنضال، وأخي محمود الذي
رافقني من أمام الحاجز وفي سيارة الإسعاف حتى وصلنا منزل والدي في
خاراس ولحظة وضعي في سيارة الإسعاف الفلسطينية التابعة للهِلال الأحمر؛
تم وضع إبرة المحلول في ذراعي لأن صحتي ما زالت سيئة.

تحرك السيارات باتجاه مسقط رأسي

سارت السيارات نحو بلدة ترقوميا، ثم وادي القف، ثم إلى وسط
مدينة الخليل حتى الخط الالتفافي حول بلدة حلحول حتى انتظرنا والدي
وأمي وزوجتي ولما رُفِعتي والأخ عيسى قراقع حتى أراهم واحتضنهم،
فعلاً تم في مشهد مؤثر جداً ومبكٍ، ثم تحركت السيارات إلى وسط
حلحول ومنها إلى منطقة (بقار) التي تفصل قريتي وبلدي خاراس عن
حلحول، ونحن في السيارة كان هاتف أخي محمود الناطق الإعلامي باسم
الإضراب لا يهدأ من المحررين والصحفيين ووسائل الإعلام ومن الأهل
والأحباب، فكانت أول المقابلات لي مع إذاعتي الأسرى والقدس من قطاع
غزة، فكان حديث الشكر والتحية لأهلنا في غزة المحاصرة التي تدفع ثمن



حبها وارتباطها بالمقاومة وفلسطين، غزة رافعة الكفاح، غزة التي يحاولون إخضاعها وكسرها، فتوجه بالتحية لكل أبناء شعبنا في غزة والضفة والقدس المحتلة والشتات والعالم الحر.

اللقاء الأول بالوالد

كان اللقاء والعناق والبكاء والمشهد الإنساني أمام الناس، ولم يصدق أنني على قيد الحياة، هذا الأب الذي علمني أبجديات الانتفاضة والثورة وزرعها في منذ الصغر، وهنا أسجل حبي واعتزازي به كوالد وكصديق ورفيق درب ومناضل.

لحظة الوصول إلى قريتي الحبيبة

طافت السيارات شوارع الخليل حتى وصلت حلحول وإلى الشارع المؤدي إلى بلدة نوبا، ثم منطقة وادي العرب مدخل خاراس الجنوبي حتى دخلنا إلى البلدة القديمة والأزقة في خاراس، وهنا تذكرت أخي بلال وأخي الأسير شاهر حلاحلة المحكوم 17 عامًا وقد كان مضرّبًا عن الطعام في الإضراب العام، فتم عزله عن الأسرى لدوره، وبمعرفة ضابط الاستخبارات المدعو حاتم عزام أن شاهر أخي قال له: «أريد أن آخذك إلى ثائر حتى يتم إقناعه بفاك إضرابه» فقال له شاهر: «ثائر أعرفه لا يمكن أن يتراجع عن قراره، ثائر صلب وسوف يتصر عليكم». فتم وضع الأسير شاهر حلاحلة في عزل سجن «أيله» ببئر السبع ومنع المحامين من زيارته، وهذا العزل مخصص للخطرئين من الجنائيين والمجرمين، شاهر حلاحلة تاريخه في التضامن وإسناد الأسرى خضر عدنان وهناء الشلبي، ثم



الإضراب العام ومن قبله إضراب 2004م وإضراب الأسير نهار السعدي الذي كان معزولاً، وحين وصلت السيارات التي تحمل مكبرات الصوت وتعلو بالنشيد الوطني والثوري وزغاريد من الأمهات ونساء البلدة وهم يوزعون الحلوى على السيارات، حتى توقفت السيارة أمام المنزل في حارتنا (حارة الجبل) أو ما تعرف بـ (حارة بئر الحريقة)، فتح أخي باب السيارة وهنا وصلت عمتي ازدهار أم محمد وبمجرد أن شاهدتني أصيبت بالانهيار ونقلت للمشفى، وتم حملي على الأكتاف وسط الهتافات لفلسطين والمقاومة والنضال وللأسرى وللشهداء والنساء، وهنا صرخت والدتي: «وانكسر القيد». عندما كانت تصرخ في الفعاليات والمسيرات وهي تقول (سيكسر القيد) وأثناء حملي على الأكتاف حملوا المار حتى احتضنتها وهي تبكي خائفة من مشهد والدها، ومن شكلي الغريب واللحية والشعر الكثيف، ومن ثم تم وضعي في مكان يطل على الجماهير وألقيت كلمة النصر والشكر والحمد لله على هذا الانتصار المتواضع، ووجهت التحية للمقاومة الفلسطينية، وذكرت إخواني الأسرى وعلى رأسهم بلال ذياب وقلت له: إننا على موعد مع حريتك، وأخي شاهر حلاحلة الذي قلت له سوف يلتئم الشمل، وألقى عيسى قراقع كلمة مؤثرة.

لحظات مؤثرة مع طفلي لمار

كان اللقاء الثاني مع طفلي ليس في السجن أو وراء الزجاج إنما وجهًا لوجه، فقلت لها: «لمار أنا بابا نائر جبت لك الشوكولاتة»، فرفضت أمام الناس وقالت: «أنت مش بابا، بابا في الصورة»، تعرف أبوها في الصورة، هذا هو المحتل اللعين الذي يحرمننا أطفالنا وإحساسنا بطفولتهم، ويحرم



أطفالنا أبسط حقوقهم.

هنا أتذكر الشهيد ورفيق الدرب عصام

أثناء عبور السيارات شاهدت شعارًا مخطوطًا على أحد الجدران
«يا عصام يا ابن الصمود، لقنت اليهود درسًا لن يعود». عصام هو ابن
صحفي درسنا معًا حتى إنه يوم استشهاده كنت قريبًا منه في المواجهات
يوم 27 نيسان (أبريل) 1997م عند صلاة المغرب بالقرب من الجامع
الكبير (جامع عمر بن الخطاب) أو (جامع فلسطين)، فزرت في الليلة
الأولى والدته وقدمت لها التحية والاحترام، ثم زرت بيت عائلة الشهيد
علي حلاحلة الاستشهادي الأول في قرية خاراس ورفيق الدرب في الجهاد
والمقاومة، وهو ابن عم لي وجار لي وألقيت التحية على أمه الصابرة
المحتسبة التي توفيت فيما بعد وهي تحلم بوداعه قبل موتها؛ لأن جثمانه
محتجز حتى الآن لدى الاحتلال في مقابر الأرقام، فالرحمة للشهداء.

86

عيسى قراقع، نائر حلاحلة وبلال ذياب بعد الإضراب

كانت كلمة عيسى قراقع الذي يتحدث بكل حب وعدل وهو
يقول لا يمكن أن تقف أمام شعب يبحث عن حياة كريمة كباقي الشعوب
وحياة تحت ظل الشمس، فمسيرة بلال ونائر وهناء وخضر والسر سك ما
هي إلا مسيرة نحو الخلاص والحرية.

الصحة بعد الإضراب



لا شك أن الإضراب عن الطعام هو فعلاً معركة ليست سهلة، فهو صعب جداً وأصعب من صيام شهر رمضان حتى لو جاء في شهر تموز وآب، فهو محدود بزمان معين من طلوع الفجر حتى غروب الشمس وبعدها تأكل ما تشاء وتشرب ما تشاء، ولكن في هذا الإضراب الطويل ليس فقط الأكل إنما التضييق والضغط والعزل ومحاولة تكسير نفسيتك من السجنان والضباط، أعضاء جسمك تتكسر كما يتكسر الزجاج خاصة الأعضاء الصغيرة، وجهاز المناعة تضعف قوته وقدرته، أنا لست طبيباً أو مختصاً أو أخصائياً، ولكن شاهدت جسمي يحصل معه هذه الأعراض، وبعد الإضراب أصبح أصعب من قبل، ونتيجة الإهمال الطبي بحقي في الاعتقال وبعد شهور من الإفراج عني تم التحقيق معي في سجن عسقلان بطريقة وحشية، وقالوا لي سوف نكسر هذه المرة ولن نسمح لك أن تخرج من هنا سالماً، فبعد الانتهاء من التحقيق معي تم عمل فحص دم لي وتبين أنني مصاب بفيروس التهاب الكبد الوبائي من نوع (B)، وسوف أتحديث في كتاب آخر عن جروح البوسطة وعذابها والتحقيق بإذن الله.

دور قناة فلسطين اليوم والإعلام بالمعركة

الإعلام والصحفي وصاحب الكلمة والصورة هو مقاتل يؤدي رسالة كبيرة ويوصل المعاناة والعذابات التي لا يمكن للمضرب أن يقوم بإيصالها وهو معزول، قناة فلسطين اليوم أدت دوراً وظيفياً مشهوداً في كافة المجالات، وسخرت ساعات من بثها لدعم وإظهار معركتنا لحظة بلحظة ومن مرحلة لأخرى، من اليوم الأول حتى اليوم الـ 78، وتنقلت



معنا في كل مكان، وكذلك العديد من المحطات والإذاعات المحلية والوطنية منها إذاعتا صوت القدس والأسرى وكذلك أجيال التي قامت بجهدٍ واضح معنا، وكذلك أمواج في رام الله، وكذلك راية التي تبث من رام الله، والحرية من الخليل والتي بذلت جهدًا مميزًا وأخرجت الآلاف من الناس للشوارع في إضرابنا، وهنا أتوجه إليهم بالشكر والمحبة وأن يبقى إعلامنا وطنيًا منحازًا لهموم الناس، وهنا أتذكر مسيرة غضب الأحرار التي شارك بها الآلاف وقد شاهدتها فيما بعد، وكانت بالتعاون ودعم ومساندة من الأهل وعائلي ونادي الأسير وهيئة الأسير والقوى والفصائل الوطنية والإسلامية وخاصة الجهاد الإسلامي، وكذلك لا ننسى دور المحامين والمؤسسات التي تعمل في مجال الأسرى كمؤسسة مهجة القدس والمحامين وأخص منهم المحامي جواد بولص وجميل الخطيب ومؤسسة الضمير، والتي كانت عنوانًا مميزًا وواضحًا لنا عبر ناطقين باسمها والعاملين فيها، والفعاليات والمسيرات التي نظمتها الجهات في غزة بالتحديد، ومركز حريات الأسرى والعاملين فيه، وهيئة شؤون الأسرى ونادي الأسير ومسئولي النادي في كافة أنحاء فلسطين وأصدقاء النادي في أوروبا والعالم لم يقصروا كلهم كان لهم دور في الانتصار والوقوف في هذه المعاناة معي ومع عائلي وأسرتي.

اللقاء بالزوجة بعد الإفراج عني

إن الحديث عن الزوجة الغالية أم خطاب وصبرها وتحملها ووقوفها معي في هذه المعركة وفي كافة المراحل والمحطات التي اعتقلت فيها والتي



لم تبدأ من الإضراب بل سبقها سنوات من الصبر والعطاء والوفاء وما تبع الإضراب من اعتقالات حتى هذه الأيام؛ حديث له شجون ومعاني خاصة، لا يمكن إعطاؤها حقها في عدة سطور، ولكن أكتفي بأن «وراء كل رجل عظيم امرأة عظيمة». هذه الزوجة أم خطاب وأم لمار هي التي ربت وعلمت لمار وجعلتها متميزة في دروسها وأخلاقها، وأنا لم أعرف لمار إلا من خلال الصور وبعض الزيارات، والمنع الأمني لعائلتي ولزوجتي وكذلك منعها من السفر للالتقاء بأهلها في الأردن لسنوات، والسبب زوجها الإرهابي كما قال لها ضابط المخابرات والشاباك الصهيوني: «أنت تعرفين أن زوجك ثائر إرهابي». فقالت: «لا». فرد عليها: «أنا أقول إنه إرهابي ويجب أن يبقى في الأسر».

زوجتي سأبقى وفيًا لك ولحبنا وأسرتنا لوقوفك معي، أنت التي تعبتي معي ولم تقصري، فزوجات الأسرى هنّ المضحيات مع أزواجهنّ الأسرى فلك الحب والسلام.





خاتمة

قصتي مع الإضراب ليست نوعاً من الدراما الحزينة التي نسمع عنها ونشاهدها، قصتي هي تجربة واقعية تحاكي قصة كل فلسطيني داخل معتقلات العدو، إنها التجربة الأكثر حضوراً في الوجدان والذاكرة، وهي الأكثر شهادة على ظلم السجان.

في تجربتي كنت أبحث عن التاريخ والهوية، تاريخ الفلسطيني الممتد عبر آلاف السنين على بقعة الجغرافيا المعروفة باسم (فلسطين)، في تجربتي كنت أفتش عن هويتي التي لا تقبل التفريط أو القسمة، فأنا الفلسطيني العربي المسلم والإنسان، أنا الفلسطيني المقاتل والعنيد وصاحب الأرض والتراب، أنا الفلسطيني الذي لا يقبل المساومة أو التفريط في ذرة تراب واحدة من أرضنا الفلسطينية.

وأنا الفلسطيني الإنسان الذي يبحث عن الحرية والحب والجمال، رغم بشاعة الاحتلال وظلم السجان.

قصتي مع الإضراب علمتني ان أكون عنيداً في الحق، شامخاً في المبدأ واثقاً من النصر رغم عنف التيار المضاد.

ورسالتني أن الإيمان بالله وقوة الإرادة هما السلاح الأمضى والأقوى لتحقيق ما يصبو إليه الإنسان الفلسطيني.



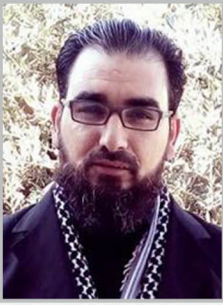
رسالتي أن التاريخ يقترب أكثر وأكثر من حلمنا، ليتحول هذا
الحلم إلى واقع قائم، فالتاريخ ليس قاعة انتظار، إنما هو محرك وباعث إلى
التحرير من نير الظلم والاحتلال، وموعدا مع الفجر القادم إن شاء الله،
أوليس الصبح بقريب؟!

فهرس

الموضوع	الصفحة
إهداء.....	5
شكر وتقدير.....	7
تقديم.....	9
مقدمة.....	13
الفصل الأول: معركة الأمعاء الخاوية، نماذج بطولية.....	17
المجاهدة المحررة عطف عليان تفرع جدران الخزان.....	17
الشيخ خضر عدنان يفجر ثورة السجون من جديد.....	18
كرامتنا أغلى من الطعام.....	19
المجاهدة هناء الشلبي تدخل المعركة.....	20
الفصل الثاني: تجربتي في الإضراب، نموذج متجدد.....	23
ثائر وبلال في وسط المعركة بعد انتصار خضر عدنان.....	23
ليلة اتخاذ القرار.....	24
عهد مع الله، وقسم حتى النهاية.....	25
المعركة تبدأ.....	26
الأيام الأولى في معركة الإضراب ومحاولات الإحباط.....	27
التنقل بين الأقسام في بداية المعركة، محاولة للإجهاض.....	28
رحلة المحكمة الأولى (التثبيت).....	30
الانتقال من سجن النقب إلى عيادة مقبرة الرملة.....	37
محاولة إبعادي إلى غزة.....	38

الموضوع	الصفحة
رحلة عذاب أخرى	40
قرار المحكمة العليا	42
الاقتراب من لحظة الشهادة	44
بلال ذياب على بوابة الشهادة	51
المحامي جواد بولص يبكي	53
الأسير المضرب عن الطعام محمود السرك يصرخ: نأثر استشهد!	54
طفلتي لمار تدخل السجن معي	57
معركة بلال مع مسئول مصلحة السجن	58
لجنة قانونية صهيونية تلتقي بنا	60
أحمد سعادات شاهد على الجريمة والمعاناة	62
أسرتي وسط المعركة	64
التواصل مع الأهل، وجه آخر لمعركة الإضراب	65
لحظات انتهاء المعركة والإضراب	66
الاتصال بالأهل في الذاكرة ولن ينسى	72
حديث القائد الأسير أحمد سعادات معنا لحظة فك الإضراب	73
ليلة مشهودة مع التايه والسعدي والهزور بعد فك الإضراب	73
المنتصرون حلاحة وذياب وعز الدين بعد الانتصار	75
الأخوان "الروحان في جسد واحد" بلال وثائر	76
اللقاء مع الوالدة والزوجة ولمار بعد فك الإضراب في سجن الرملة	77
الجوع كافر ولكنه يكسر القيد	78
وقفات قبل الإفراج عني من عيادة الرملة	78

الموضوع	الصفحة
وأخيراً جاء الفرج والحرية والافراج	81
لحظة الخروج من قسم وعيادة وسجن الرملة	82
تحرك السيارات باتجاه مسقط رأسي	83
اللقاء الأول بالوالد	84
لحظة الوصول إلى قرיתי الحبيبة	84
لحظات مؤثرة مع طفلي لمار	85
هنا أتذكر الشهيد ورفيق الدرب عصام	85
عيسى قراقع، نائر حلاحلة وبلال ذياب بعد الإضراب	86
الصحة بعد الإضراب	86
دور قناة فلسطين اليوم والإعلام بالمعركة	87
اللقاء بالزوجة بعد الإفراج عني	88
خاتمة	91



« تعريف بالكاتب الأسير

- الاسم: نائر عزيز محمود حلاحة.
- مكان الإقامة: بلدة خاراس - محافظة الخليل.
- تاريخ الميلاد: 1979/03/19 م.
- الحالة الاجتماعية: متزوج.
- عدد الأبناء: 3.
- الإعتقالات: 13.
- تاريخ الاعتقال الأخير: 2020/05/07 م.
- الحكم: إداري.
- الشهادات التعليمية:
- بكالوريوس تاريخ - جامعة الأقصى.
- المؤلفات:
- أول الغيث، الشهيد علي حلاحة .

« في هذا الكتاب

الإضراب المفتوح عن الطعام هي تلك المعركة غير المتكافئة وغير المتوازنة، أنت بإرادتك وعزيمتك وصلابتك وإيمانك تواجه كل أساليب القمع والإرهاب والتخويف والتضييق، أنت بإضرابك تصفع وجوههم القبيحة، أنت بأهدافك تواجه هذا الكيان بمؤسساته وجيشه وأدواته ومصلحة سجونهم ومخابراته ومكره وحقده وتغوله، تواجه دهاءهم وخبثهم، وإنها المعركة التي لا تقل خطورة وشراسة عن مقاتل في ميدان قتاله، إنها الأكثر والأعمق إنسانيا وأخلاقيا، إنها المعركة الأكثر طهرا وقربا للروح والقلب والأبعد عن المادة والشهوات، إنها الأجدر بأن تكون مادة ومساقا في جامعاتنا ومعاهدنا ومدارسنا لكي يدرسها طلابنا نظريا وعلميا ويتربى هذا الجيل الواعد في ظلالها.